كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١٣) ديسمبر ٢٠٢٣م

الأحاديث التي قال فيها الرسول ﷺ: «سلوا الله»

أحاديث مختارة

دراسة حديثية موضوعية

الدكتور

عماد الدين فتحي عبد العظيم

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

بقسم الحديث وعلومه
في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
جامعة الأزهر

و

قسم الدراسات الإسلامية
في كليه العلـوم والآداب بالقريـات
جامعة الجوف

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، والرسول المجتبى نبينا محمد – ﷺ - وبعد: فلما كان الواجب على المسـلم العاقل أن يحرص على ما ينفعه، ويستعين بالله في الأخذ بالأسباب لإدراك الأعمال الفاضلة، وتحصيل ثوابها ابتغاء مرضاة الله- تعالى-، والناظر في السنة المطهرة يجد أن النبي - ﷺ - أمر أمته السؤال والطلب لهذه الأعمال؛ فكان هذا البحث الذي يدور حول الأحاديث التي ورد فيها لفظ " سلوا الله " وتعدد المسؤول عنه، وتنوع المطلوب، وهو من فقهه - ﷺ - مراعاة أحوال الناس، ومخاطبتهم بما يلائم واقعهم ويناسب ظروفهم، بين طلب السؤال للعفو، والمعافاة، وطلب الوسيلة له - ﷺ - ، وسؤال اليقين، وسؤال الفردوس الأعلى من الجنة، والعلم النافع، وغير ذلك، وذلك حسب علمه بحالهم، أو إخبار الوحي له، أو مراعاة للوقت وما يناسبه.

فكان هذا البحث بعنوان " الأحاديث التي قال فيها الرسول – ﷺ - "سلوا الله" أحاديث مختارة دراسة حديثية موضوعية " والذي يتناول الثابت من الأحاديث ذات الصلة وقد اخترت منها أحاديث لها تعلق بموضوعات متعددة مثل سؤال الوسيلة، والعافية واليقين والمعافاة والعلم النافع، والأحاديث التي ورد فيها هذا اللفظ منها ما هو صحيح، أو حسن وما كان ضعيفا أو شديد الضعف تركته، فخلص البحث إلى أربعة أحاديث مختارة مع عزو الأحاديث إلى من أخرجها من الأئمة في المصادر الحديثية مع الحكم عليها، والاكتفاء بالعزو للصحيحين إذا كان الحديث مخرجا فيهما، وإلا ذكرت في الحكم ما ترجح لديَّ بناء على ما يقتضيه النظر في الأسانيد ووفق القواعد المنهجية المتبعة في ذلك، مع شرح المفردات الغريبة في متن الحديث، ودراسة الأحاديث دراسة موضوعية، وذكر أهم الفوائد المستنبطة.

الكلمات المفتاحية: سلوا، اليقين، الوسيلة، مختارة، المعافاة.

The hadiths in which the Messenger - may God bless him and grant him peace - said, “Ask God,” selected examples, an analytical hadith study.

Abstract:

Praise be to God, we praise Him, we seek His help, we seek His forgiveness, and we seek refuge in God from the evils of ourselves and the bad deeds of our deeds. I bear witness that there is no god but Allah alone, with no partner, and I bear witness that our master Muhammad is His servant. And His Messenger, may God bless him and his family and all his companions, after: Since it is the duty of a rational Muslim to be keen on what benefits him, and to seek God’s help in adopting the reasons; To realize virtuous deeds, and to obtain their reward, seeking the pleasure of God Almighty, and one who examines the purified Sunnah will find that the Prophet, may God bless him and grant him peace, commanded his nation to ask and request these deeds; This research revolved around the hadiths in which the word “Ask God” was mentioned This research was entitled “The hadiths in which the Messenger - may God bless him and grant him peace - said, ‘Ask God.’ Selected hadiths, an objective hadith study,” which deals with what is proven from the relevant hadiths, and from them I chose hadiths that relate to multiple topics such as the question of means, well-being, certainty, well-being, and useful knowledge. And the hadiths in which this word was mentioned, some of which were authentic or good, and those that were weak or very weak I left out. The research concluded with four selected hadiths with the attribution of hadiths to the imams who reported them in the hadith sources, with the ruling on them with an explanation of the strange vocabulary in the text of the hadith, an objective study of the hadiths, and a mention of the most important benefits derived.

Keywords: Ask, Certainty, Means, Chosen, Recovery.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ولن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا ند له، ولا شبيه، ولا شريك له خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء، فهو العزيز الوهاب، ملك الملوك، ورب الأرباب، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أضاء الدنيا بسنته، وأنقذ الأمة بشفاعته، سيد الأولين والآخرين، حبيب رب العالمين، الصادق الوعد الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، صل اللهم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبع هديه وطريقته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الواجب على العبد أن يسأل الله وحده، ولا يسأل غيره، وأن يستعين به وحده ولا يستعين بغيره فيما لا يقدر عليه إلا هو– ﷻ- وسؤال الله دون أحد من خلقه هو من الأمور التي يجب أن تستقر في نفس المسلم، وترسخ في قلبه؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل والمسكنة والحاجة والافتقار والاعتماد والتوكل عليه – تعالى-، وفيه الاعتراف بقدرته وقوته على دفع الضر، وجلب النفع، وحصول المرغوب، ونيل المطلوب.

وقد جاء في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- ناداه يوما فقال: يا غُلامُ: إني أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ: احفظ الله يَحْفَظْكَ، احفظ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألت فاسأل الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللَّهِ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيءٍ قد كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ.(١)

(١) أخرجه الترمذي في السنن- كتاب- صفة القيامة والرقائق والورع- باب- بدون- ٦٦٧/٤ رقم (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ٢٩٣/١ رقم (٢٦٦٩) ، ٣٠٣/١ رقم (٢٧٦٣) وأبو يعلى في المسند ٤٣٠/٤ رقم (٢٥٥٦)=

ومن رحمة الله – تعالى – بعباده أنه شكور يشكر القليل من العمل؛ فلا يضيع أجر من أحسن عملا بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة والله يضاعف لمن يشاء، وليس ذلك بمقتضى عمل العباد بل مِنَّة منه وتكرما، وقد بينت السنة المطهرة أمورا جليلة، وأعمالا عظيمة طلب النبي- ﷺ- من أمته سؤال الله – تعالى – بها وطلبها منه، وما كان وصفه كذلك فهو جدير بالاهتمام بشأنه والبحث عن أمره؛ وهو ما يدل على مدى حرصه - ﷺ- على نفع أمته، ورحمته بهم، ونصحه لهم كما في قوله – تعالى-﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.(١)

والناظر في السنة المطهرة يجد أن النبي - ﷺ- طلب منهم السؤال بلفظ " سلوا " وتعدد المسؤول عنه، وتنوع المطلوب، وهو من فقهه - ﷺ- مراعاة أحوال الناس، ومخاطبتهم بما يلائم واقعهم ويناسب ظروفهم، بين طلب السؤال للعفو والمعافاة، وطلب الوسيلة له - ﷺ-، وسؤال اليقين وسؤال الفردوس الأعلى من الجنة، والعلم النافع، وهكذا، وذلك حسب علمه بحالهم أو إخبار الوحي له أو مراعاة للوقت وما يناسبه.

قال ابن حجر: ومحصل ما أجاب به العلماء مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة، أو بما هو لائق بهم، أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره، فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام أفضل الأعمال؛ لأنه

= والطبراني في المعجم الكبير ٢٣٨/١٢ رقم (١٢٩٨٨) والمقدسي في المختارة ٢٥/١٠ رقم (١٥) من طريق حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ عن ابن عَبَّاسٍ به.

(١) الآية رقم (١٢٨) من سورة التوبة، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (١٢٩) آية.

الوسيلة إلى القيام بها والتمكن من أدائها، وقد تضافرت النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل.(١)

وهذا يدل على أن المسلم العاقل ينبغي عليه أن يحرص على ما ينفعه، ويستعين بالله في الأخذ بالأسباب لإدراك هذه الأعمال، وتحصيل ثوابها ابتغاء مرضاة الله- تعالى-.

قال النووي: احرص على طاعة الله -تعالى-، والرغبة فيما عنده، واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك، ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة.(٢)

أسباب اختياري للموضوع:

وكان من أسباب اختياري لهذا الموضوع ما أبينه في النقاط التالية:

أولا: التقرب بهذا العمل إلي الله – تعالي – وابتغاء مرضاته، واحتساب الأجر والثواب عنده وتشرفا بخدمة سنة الحبيب محمد - ﷺ- ؛ طلبا لشفاعته، وحرصا على نشر سنته.

ثانيا: جمع نماذج مختارة من الأحاديث التي طلب فيها النبي - ﷺ- من أمته سؤال الله – تعالى- والرغبة فيما عنده من أمور هي جديرة بالاهتمام بشأنها، والاعتناء بأمرها من سؤال العافية، والعفو، والمعافاة، واليقين، والعلم النافع، ودراستها دراسة موضوعية.

ثالثا: حاجتي للاستفادة من هذا الموضوع؛ بأن ينمي لدي ملكة النظر في كتب السنة ودراسة الموضوعات محل البحث بأسلوب متعمق، ما ينتج عنه استخلاص الفوائد، واستنباط الأحكام، والوقوف على أقوال أهل العلم في هذا الشأن.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٩/٢ بتصرف يسير، وهو: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢١٥/١٦، وهو: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت -الطبعة الثانية- ١٣٩٢ هـ

وعليه: استخرت الله– تعالى– وتوكلت عليه، واستعنت به في كتابة هذا البحث بعنوان: **الأحاديث التي قال فيها الرسول - ﷺ- " سلوا الله" أحاديث مختارة دراسة حديثية موضوعية"** وهي الأحاديث التي ورد فيها لفظ " سلوا الله" أي طلب النبي - ﷺ- من أمته أن يسألوا الله – تعالى- ويطلبوا منه أمورا تنوعت مفرداتها مثل الوسيلة، والعلم النافع، والعفو، والمعافاة واليقين، وغيرها.

الدراسات السابقة:

لم أقف- حسب جهدي، وقدر استطاعتي- على بحث يتناول الأحاديث التي ورد فيها اللفظ موضوع البحث، على سبيل الاقتصار أو على سبيل الاستيعاب، ولكن ما وقفت عليه في مجمله مقالات منشورة على شبكة المعلومات في موضوعات ذات صلة بمفردات البحث.

منهجي في البحث:

سرت في هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي النقدي، والنقدي هنا يعني المنهج المتمثل في نقد الموضوعات بشكل واقعي موضوعي، يتسم بالتأكيد على الثوابت، وترسيخ القواعد من خلال الروايات محل البحث، وكذا المنهج التحليلي للعناصر الأساسية للموضوعات محل البحث، ومن ثَمَّ دراستها بأسلوب متعمق، وفي ضوء ذلك يتم استنباط الأحكام والقواعد، وفق ما يلي:

- **دراسة** نماذج مختارة من الأحاديث المرفوعة التي ورد فيها لفظ "سلوا الله " دراسة موضوعية، وقد اخترت أربعة أحاديث ذات صلة.
- **راعيت** في النماذج المختارة تنوع موضوعاتها، وتعدد مضمونها، مع عزو الأحاديث إلى من أخرجها من الأئمة في المصادر الحديثية مع الحكم عليها والاكتفاء بالعزو للصحيحين إذا كان الحديث مخرجا فيهما، وإلا ذكرت في الحكم ما ترجح لدي بناء على ما يقتضيه النظر في الأسانيد، ووفق القواعد المنهجية المتبعة في ذلك.

- **قمت** بدراسة الأحاديث دراسة حديثية موضوعية، وذلك فيما حكم على إسناده بالصحة أو الحسن، مع التركيز على الشاهد محل الدراسة وهو موضوع السؤال والطلب، ومنهج الدراسة في الحديث الموضوعي قد يكون استقصائيا لما في كتب السنة النبوية جميعها من أحاديث عن موضوع الدراسة، أو الاقتصار على كتب محددة من كتب السنة وجمع ما ورد فيها من أحاديث عن موضوع الدراسة، أو جمع روايات لحديث واحد ثم دراستها دراسة موضوعية، **ومنهجي في البحث** قد اعتمد على النوع الثاني وهو جمع أحاديث مختارة من كتب محددة مع دراستها دراسة موضوعية.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: فضمنتها أهمية الموضوع وسبب اختياري له، ومنهج وخطة البحث.

التمهيد: فضمنته تعريف الحديث الموضوعي، ومنهج الدراسة فيه.

المبحث الأول: فيه: حديث " سلوا الله لي الوسيلة"، وحديث " سلوا الله العافية".

المبحث الثاني: فيه: حديث " سلوا الله اليقين والمعافاة "، وحديث " سلوا الله علما نافعا"

الخاتمة: وضمنتها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وإني أتوجه إلى الله العلي القدير بالدعاء والرجاء أن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه وأن يجعل ما أكتب في ميزان الحسنات، وسببا من أسباب دخول الجنات، وأن يصفح بسببه عن الذنوب والسيئات، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

تمهيد: تعريف الحديث الموضوعي
منهج الدراسة في الحديث الموضوعي

تعريف الحديث الموضوعي:

هذا المصطلح هو مركب وصفي يتألف من جزأين، جمع بينهما لتكوين هذا المصطلح الذي يعبر عن اصطلاح شاع على ألسنة العلماء، وصار لونا من ألوان دراسة الهدي النبوي الكريم، وقد تعددت الأقوال في تعريفه: منها: أنه علم يتناول القضايا حسب المقاصد النبوية من خلال موضوع حديث نبوي شريف مقبول أو أكثر.

ومنها: أنه جمع الروايات الحديثية المتفرقة في مصادر السنة الأصلية المتعلقة بموضوع واحد لفظا أو حكما، وشرحها حسب المقاصد النبوية الشريفة.

ومنها: أنه بيان موضوع ما في ضوء السنة النبوية من خلال مصدر حديثي أو عدة مصادر.(١)

منهج الدراسة في الحديث الموضوعي:

تتنوع مناهج دراسة الحديث الموضوعي بين أن يكون المنهج استقصائيا لما في كتب السنة النبوية جميعها من أحاديث عن موضوع الدراسة، أو الاقتصار على كتب محددة من كتب السنة وجمع ما ورد فيها من أحاديث عن موضوع الدراسة، أو جمع روايات لحديث واحد ثم دراستها دراسة موضوعية، ويمكن إجمال منهج الدراسة في الحديث الموضوعي في النقاط التالية:

أ- اختيار الموضوع المراد دراسته ووضع عنوان يناسبه.

ب- جمع الأحاديث ذات الصلة بالموضوع المراد دراسته، مع تخريجها تخريجا علميا، وبيان الحكم عليها، مع الوقوف على أسباب الورود.

ج- تقسيم الأحاديث إلى أفكار محددة يراعى في ذلك الربط بين أفكارها، والتكامل بين مفرداتها، وجمعها تحت فكرة معينة، وهذا التقسيم لموضوع البحث إلى عناصر لا بد أن

(١) ذكر هذه التعريفات وغيرها د. رمضان إسحاق الزيان في كتابه: الحديث الموضوعي دراسة نظرية ٢١٣،٢١٤ وهو بحث منشور بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المجلد العاشر، العدد الثاني، ٢٠٠٢م.

يكون مرتبطا فيما بينها برباط علمي يجعل من ذلك سلسلة منتظمة، وتكامل واضح، مع وضع الأحاديث المناسبة تحت العنصر المناسب لها، مع الاقتصار على محل الشاهد من الحديث خاصةً.

د- دراسة ما يستنبط من هذه الأحاديث مما يتعلق بالموضوع محل البحث مع ما يشهد له آيات قرآنية وأحاديث نبوية، والاستئناس بأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم في هذا الشأن.

المبحث الأول
الحديث الأول: سَلُوا اللَّهَ لي الْوَسِيلَةَ

عن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ- رضي الله عنهما- أَنَّهُ سمع النبي - ﷺ- يقول: إذا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يقول ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فإنه من صلى عَلَيَّ صَلَاةً صلى الله عليه بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ في الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ من عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أنا هو فَمَنْ سَأَلَ لي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ.(١)

في هذا الهدي النبوي الكريم يأمرنا النبي - ﷺ- بترديد الأذان وراء المؤذن بأن نقول مثل ما يقول إلا في قوله حي على الصلاة حي الفلاح فنقول لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم أمرنا بالصلاة عليه، وبيَّن أن الصلاة عليه لها فضل عظيم، وثواب جزيل، فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا، ثم أمر النبي - ﷺ- أمته بطلب الوسيلة له؛ فهي منزلة في الجنة لا تكون إلا لعبد واحد من عباد الله، ويرجو أن يكون هو - ﷺ- ، فمن سأل الله ودعاه، وطلب منه ورجاه أن يعطيها للنبي - ﷺ- وجبت له شفاعته، والتي بها يخرج من النار من استوجبها، ورفعة الدرجات في جنة الرحمن لمن دخلها بفضله ورحمته، كلٌ حسب حاله، وهي بشرى بحسن الختام، ودخول الجنان.

قال ابن حجر موضحا شفاعات النبي - ﷺ- : له - ﷺ- شفاعات أخرى كإدخال الجنة بغير حساب وكرفع الدرجات فيعطى كل أحد ما يناسبه.(٢)

وقد جاء طلب الوسيلة في رواية أخرى من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قال: من قال حين يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللهم رَبَّ هذه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ

(١) أخرجه مسلم في الصحيح -كتاب- الصلاة- باب- اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلِ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ثُمَّ يُصَلِّي على النبي ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ له الْوَسِيلَةَ- ٢٨٨/١ رقم (٣٨٤) من طريق عبد الرحمن بن جُبَيْرٍ عن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ به.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٩٦/٢ وهو: وهو: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفَاعَتِي يوم الْقِيَامَةِ.(١)

والذي أمر النبي - ﷺ- من أمته أن يطلبوه من الله – تعالى- الوسيلة، وترجع في حقيقتها إلى:

الوسيلة في اللغة: تعود في أصلها للفعل وسل ومنه الوسيلة، والواسلة، والوسائل، **قال ابن منظور:** الوسيلة: المنزلة عند الملك، والوسيلة: الدرجة، والوسيلة: القربة، ووسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه، والواسل: الراغب إلى الله، وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل، وتوسل إليه بكذا تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه، والوسيلة الوصلة والقربى وجمعها الوسائل.(٢)

الوسيلة اصطلاحا: وقد تعددت أقوال أهل العلم في معنى الوسيلة وبيان حقيقتها، وهي تدور حول ما يتقرب به الإنسان إلى مولاه - ﷻ- من فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، من فعل الجميل، وترك القبيح، وكذا ما يتقرب به الإنسان من عمل صالح متمثلا في طاعته وعبادته، وطاعة رسوله - ﷺ-، والعمل بما يرضيه – تعالى- في كل جاء في الشرع من واجبات ومستحبات، والمراد بها في الحديث منزلة عظيمة، ومكانة رفيعة في الجنة لا تتيسر إلا لعبد واحد من جميع عباد الله – تعالى-.

قال الطيبي: وإنما سميت تلك المنزلة من الجنة بها لأن الواصل إليها يكون قريباً من الله تعالي فائزاً بلقائه، مخصوصاً من بين سائر الدرجات بأنواع المكرمات.(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب- الأذان- باب- الدعاء عند الأذان- ٢٢٢/١ رقم (٥٨٩) و-كتاب- التفسير- باب- عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا- ١٧٤٩/٤ رقم (٤٤٤٢) من طريق مُحَمَّدِ بن الْمُنْكَدِرِ عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ به.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٧٢٤/١١ وهو: وهو: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١هـ ط: دار صادر بيروت، الطبعة: الأولى، المعجم الوسيط ١٠٣٢/٢ تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ١١٠/٦ وهو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

(٣) شرح مشكاة المصابيح للطيبي ٩١١/٣ وهو: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي - الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة – الرياض- ط: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م- المحقق: د. عبد الحميد هنداوي.

قال ابن حجر: الوسيلة هي ما يتقرب به إلى الكبير، يقال: توسلت أي تقربت، وتطلق على المنزلة العلية.(١)

قال ابن الأثير: الوسيلة هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به وجمعها وسائل يقال وسل إليه وسيلة وتوسل، والمراد به في الحديث القرب من الله – تعالى- وقيل هي الشفاعة يوم القيامة، وقيل هي منزلة من منازل الجنة.(٢)

قال المُناوي: الوسيلة أعلى درجات الجنة، وهي خاصة به - ﷺ- فهي أعلى الفردوس، وجمع بأن الفردوس أعلى الجنة وفيه درجات أعلاها الوسيلة ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض.(٣)

طلب الوسيلة والإيثار:

يظهر في الحديث طلب الرسول - ﷺ- من أمته أن يسألوا له الوسيلة، والتي لا تنبغي إلا لعبد واحد من عباد الله، وهنا أسئلة تحتاج إلى إجابة:

السؤال الأول: هل طلب الوسيلة هنا يتعارض مع الإيثار؟

السؤال الثاني: هل كان النبي - ﷺ- يعلم أن هذه المنزلة له أم كان لا يعلم؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة أبين معني الإيثار، وأقسامه حتى تتضح الإجابة، وتنجلي الحقيقة.

أما الإيثار: فهو أن يقدم الإنسان حاجة غيره على حاجة نفسه ونفعها، وهو دليل على حب الغير، والحرص على ما ينفعهم، وإنكار الذات ، وفيه دفع حب النفس، والأنانية، والجشع.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٩٥/٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٨٤/٥ وهو: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

(٣) فيض القدير للمناوي ٣٦٨/١ وهو: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ الطبعة: الأولى.

قال الجُرجاني: الإيثار: أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة.(١)

وقال ابن مسكويه: الإيثار: هو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه.(٢)

أقسام الإيثار: والإيثار على نوعين: الأول: الإيثار في الطاعات والقربات، والثاني: الإيثار في الدنيا ومتاعها.

وللجواب عن السؤال الأول : هل طلب الوسيلة هنا يتعارض مع الإيثار؟

أعرض تفصيلا لأنواع الإيثار وهو ما تتضح معه الإجابة.

أما النوع الأول: وهو الإيثار في القربات فقد اختلف أهل العلم فيه على قولين: **الأول**: أن الإيثار في القرب لا يجوز وهو مكروه غير محبوب؛ لأن الإيثار في مثلها يشعر برغبة المؤثر عنها، وزهده فيها، وقد أُمرنا بالتسابق إلى فعل الخيرات، والتنافس على الطاعات والمكرمات، وذكروا من يؤثر غيره بالصف الأول، أو الإيثار بماء المتيمم، أو ستر العورة في الصلاة وغيرها من أمور القرب والعبادات.

يقول الزركشي مؤيدا هذا القول: في القربات- أي الإيثار- كمن يؤثر بالصف الأول لغيره ويتأخر هو أو يؤثر بقربه من الإمام في الصلاة ونحوه، **ثم قال**: وظاهر كلام الشيخ أبي محمد السابق أنه حرام(٣)، وكذا قال الإمام(٤) في باب التيمم: لو دخل الوقت ومعه ما يتوضأ به فوهبه لغيره ليتوضأ به لا يجوز؛ لأن الإيثار إنما يكون فيما يتعلق بالنفوس

(١) التعريفات للجرجاني ٤٠/١ وهو: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني- الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ١٩/١ وهو: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق- لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه- الناشر: مكتبة الثقافة الدينية- الطبعة: الأولى- ١٩٨٧م.

(٣) وإشارته إلى الشيخ أبي محمد يقصد به أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين عبد الملك الجويني في كتابه : الجمع والفرق أو ما يسمى بالفروق، وقال فيه: المضطر في حال المخمصة إن أراد الإيثار بما معه من الماء أو من الطعام لاستحياء مهجة أخرى كان له الإيثار وإن خاف فوات، مهجته، ومن دخل عليه وقت المكتوبة ومعه ماء طهارة واحدة وغيره مثله في الحاجة إلى الطهارة لم يجز له الإيثار. الفروق لأبي محمد الجويني ٢١٥/١.

(٤) يقصد الزركشي بالإمام : إمام الحرمين عبد الملك الجويني.

والمهج لا فيما يتعلق بالقرب والعبادات، وقال في باب زكاة الفطر: لا أعرف خلافا في أنه ليس له الإيثار. **ثم قال:** وقال الشيخ عز الدين في (القواعد)[١] : لا إيثار في القربات فلا إيثار بماء المتيمم ولا بالصف الأول، ولا بستر العورة في الصلاة؛ لأن الغرض بالعبادات التعظيم والإجلال، فمن آثر به فقد ترك إجلال الإله وتعظيمه فيصير بمثابة من أمره سيده بأمر فتركه وقال لغيره قم به فإن هذا يستقبح عند الناس بتباعده من إجلال الأمر وقربه.[٢]

وممن يؤيد هذا المذهب النووي في عدم جواز الإيثار في القربات بقوله: وقد نص أصحابنا وغيرهم من العلماء على أنه لا يؤثر في القرب، وإنما الإيثار المحمود ما كان في حظوط النفس دون الطاعات، قالوا: فيكره أن يؤثر غيره بموضعه من الصف الأول وكذلك نظائره.[٣]

واستدل أصحاب هذا القول بحديث سهل بن سعد أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ منه وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاخُ، فقال لِلْغُلَامِ: أَتَأْذَنُ لي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ فقال الْغُلَامُ: والله يا رَسُولَ اللَّهِ لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا قال: فَتَلَّهُ رسول اللَّهِ - ﷺ- في يَدِهِ.[٤] ومعنى (فَتَلَّهُ) أي وضعه في يده.

---

(١) القواعد الكبرى لعز الدين بن عبد السلام ٢٥٩/١ وهو: قواعد الأحكام في مصالح الأنام لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء- الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة- ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.

(٢) المنثور في القواعد الفقهية للزركشي ٢١٢/١ وهو: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي - الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية- الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - حققه: د. تيسير فائق أحمد محمود- راجعه: د.عبد الستار أبو غدة.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢٠١/١٣ وهو: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- المظالم- باب- إذا أَذِنَ له أو أَحَلَّهُ ولم يُبَيِّنْ كَمْ هو- ٨٥٦/٢ رقم (٢٣١٩) وكتاب- الهبة وفضلها- باب- هِبَةِ الْوَاحِدِ لِلْجَمَاعَةِ- ٩١٩/٢ رقم (٢٤٦٢) و- باب- الْهِبَةِ الْمَقْبُوضَةِ وَغَيْرِ الْمَقْبُوضَةِ وَالْمَقْسُومَةِ وَغَيْرِ الْمَقْسُومَةِ- ٩٢٠/٢ رقم (٢٤٦٤) و -كتاب- الأشربة- باب- هل يَسْتَأْذِنُ الرَّجُلُ من عن يَمِينِهِ في الشُّرْبِ لِيُعْطِيَ الْأَكْبَرَ- ٢١٣٠/٥ رقم (٥٢٩٧)، ومسلم في الصحيح -كتاب- الأشربة- باب- اسْتِحْبَابِ إِدَارَةِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوِهِمَا عن يَمِينِ الْمُبْتَدِئِ- ١٦٠٤/٣ رقم (٢٠٣٠) كلهم من طريق أبي حَازِمِ بن دِينَارٍ عن سَهْلِ بن سَعْدٍ به.

أما القول الثاني في المسألة: فذهب أصحابه إلى جواز الإيثار في القرب وعدم كراهيته لاسيما إن كان لمصلحة شرعية، وأنه يجوز للرجل أن يؤثر أخاه بقربة إذا طلبها منه.

قال بهذا ابن القيم في زاد المعاد: وقولُ من قال من الفقهاء لا يجوز الإيثار بالقرب لا يصح، وقد آثرت عائشةُ عمرَ بن الخطاب بدفنه في بيتها جوارَ النبي - ﷺ- وسألها عمر ذلك فلم يُكرَه له السؤالُ ولا لها البذلُ[1]، وعلى هذا فإذا سأل الرجل غيره أن يؤثره بمقامه في الصف الأول لم يكره له السؤال ولا لذلك البذل، ونظائرُه، ثم قال: ومن تأمل سيرة الصحابة وجدهم غير كارهين لذلك ولا ممتنعين منه، وهل هذا إلا كرم وسخاء، وإيثار على النفس بما هو مِن أعظم محبوباتها، وتفريحًا لأخيه المسلم، وتعظيمًا لقدره، وإجابةً له إلى ما سأله، وترغيبًا له في الخير؛ وقد يكون ثواب كل واحد من هذه الخصال راجحًا على ثواب تلك القربة، فيكون المُؤْثر بها ممن تاجر فبذل قربةً وأخذ أضعافَها، وعلى هذا فلا يمتنع أن يؤثر صاحب الماء بمائه أن يُتوضأ به ويتيمَّم هو، إذ كان لا بد من تيمم أحدهما، فآثر أخاه وحاز فضيلة الإيثار وفضيلةَ الطهر بالتراب، ولم يمنع من هذا كتاب ولا سنة ولا مكارم أخلاق.

وعلى هذا فإذا اشتد العطش بجماعة وعاينوا التلف، ومع بعضهم ماء فآثر به على نفسه واستسلم للموت كان ذلك جائزًا، ولم نقُل إنه قاتل لنفسه ولا إنه فعل محرمًا، بل هذا غاية الجود والسخاء كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب- فضائل الصحابة- باب- قِصَّةِ الْبَيْعَةِ وَالِاتِّفَاقِ على عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رضي الله عنه- ١٣٥٥/٣ رقم (٣٤٩٧) من طريق حصين عن عمرو بن ميمون به، وفيه: انْطَلِقْ إلى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلَامَ ولا تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا وَقُلْ يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مع صَاحِبَيْهِ فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ ثُمَّ دخل عليها فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي فقال يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ السَّلَامَ وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مع صَاحِبَيْهِ فقالت كنت أُرِيدُهُ لِنَفْسِي وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ الْيَوْمَ على نَفْسِي فلما أَقْبَلَ قِيلَ هذا عبد اللَّهِ بن عُمَرَ قد جاء قال ارْفَعُونِي فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إليه فقال ما لَدَيْكَ قال الذي تُحِبُّ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ قال الْحَمْدُ لِلَّهِ ما كان من شَيْءٍ أَهَمَّ إلي من ذلك فإذا أنا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ فَإِنْ أَذِنَتْ لي فَأَدْخِلُونِي وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إلى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا فلما رَأَيْنَاهَا قُمْنَا فَوَلَجَتْ عليه فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لهم فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا من الدَّاخِلِ.... الحديث.

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾[١] وقد جرى هذا بعينه لجماعة من الصحابة في فتوح الشام، وعُدَّ ذلك في مناقبهم وفضائلهم، وهل إهداء القُرَبِ المجمَع عليها والمتنازَع فيها إلى الميت إلا إيثار بثوابها؟ وهو عين الإيثار بالقرب فأي فرق بين أن يؤثره بفعلها ليُحرِزَ ثوابَها وبين أن يعمل ثم يؤثره بثوابها؟ وبالله التوفيق.[٢]

ومن أنصار هذا المذهب أيضا زين الدين بن نجيم يقول: وإن سبق أحد بالدخول إلى المسجد، وأخذ مكانه في الصف الأول فدخل رجل أكبر منه سنا أو أهل علم، ينبغي له أن يتأخر، ويقدمه تعظيما له، ثم قال: فهذا مفيد لجواز الإيثار في القرب عملا بعموم قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾[٣] إلا إذا قام دليل تخصيص.[٤]

قلت: وكان لابن القيم في المسألة كلام سابق متقدم عن قوله المتأخر في جواز الإيثار بالقرب في كتاب الروح، وكذا كتاب طريق الهجرتين، ولعله رجع عنهما فتأليف زاد المعاد متأخر عنهما، وكان ذكر عدة أجوبة يدافع بها عن القول الأول، منتصرا لعدم الجواز مستدلا على ما ذكره.

قال في الروح: وأمَّا قولكم: الإيثارُ بسبب الثواب مكروهٌ . وهو مسألة الإيثار بالقُرَب . فكيف الإيثار بنفس الثواب الذي هو الغاية! فقد أجيب عنه بأجوبة، **أحدُها:** أنَّ حالَ الحياة حالٌ لا يُوثق فيها بسلامة العاقبة، لجواز أن يرتدَّ الحيُّ، فيكون قد آثرَ بالقُربة غيرَ أهلها؛ وهذا قد أمِنَ بالموت. فإن قيل: والمُهدَى إليه أيضًا قد لا يكون ماتَ على الإسلام

(١) الآية رقم (٩) من سورة الحشر، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (٢٤).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٦٣٣/٣ وهو: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية- الناشر: دار عطاءات العلم الرياض - دار ابن حزم- بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ- ٢٠١٩ م - الأولى لدار ابن حزم- تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج :سراج منير محمد منير.

(٣) الآية رقم (٩) من سورة الحشر، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (٢٤).

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق لابن نجيم ٣٧٥/١ وهو: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري- ط: دار الكتاب الإسلامي- الثانية.

باطنًا، فلا يَنتفع بما يُهدَى إليه. فهذا سؤالٌ في غاية البطلان، فإنَّ الإهداءَ له من جنس الصلاة عليه والاستغفار له، والدعاء له. فإن كان أهلاً، وإلا انتفع به الداعي وحدَه.

الجواب الثاني: أنَّ الإيثارَ بالقُرَب يدلُّ على قِلَّة الرغبة فيها، والتأخير عن فعلها. فلو ساغ الإيثار بها لأفضى إلى التقاعد عنها والتكاسل. والتأخُّر، بخلافِ إهداء ثوابها، فإنَّ العاملَ يحرِص عليها لأجل ثوابها، لينتفعَ به، أو ينفعَ به أخاه المسلم. فبينهما فرقٌ ظاهرٌ.

الجواب الثالث: أنَّ الله – سبحانه- يحبُّ المبادرة والمسارعة إلى خدمته، والتنافس فيها، فإنَّ ذلك أبلغُ في العبودية، فإنَّ الملوك تحبُّ المسارعة والمنافسة في طاعتها وخدمتها؛ فالإيثار بذلك مُنافٍ لمقصود العبودية، فإنَّ الله سبحانه أمر عبدَه بهذه القربة إما إيجابًا وإما استحبابًا فإذا آثرَ بها تركَ ما أُمِرَ به، وولَّاه غيرَه، بخلاف ما إذا فعل ما أُمِرَ به طاعةً وقُربةً، ثم أرسل ثوابَه إلى أخيه المسلم، وقد قال – تعالى- ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1] وقال– تعالى- ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾[2] ومعلومٌ أن الإيثارَ بها يُنافي الاستباقَ إليها والمسارعةَ، وقد كان الصحابة يُسابق بعضهم بعضًا بالقُرَب، ولا يُؤثِر الرجلَ منهم غيره بها.[3]

قلت: ولعله يمكن الجمع بين القولين بأن الإيثار في الواجبات لا يجوز، بل قد يصل إلى درجة الحرمة، فلا يجوز لمن كان معه فقط ما يستر عورته أن يؤثر غيره بها، ولا يجوز لمن ليس معه إلا ماء يكفيه دون غيره فيخرجه من التيمم إلى الأصل وهو الوضوء أن يؤثر غيره به، وأما في المستحبات فيرجع ذلك إلى ضوابط ينبغي مراعاتها كأن يكون فيه مصلحة أعظم تضيع بتفويت الإيثار، أو أن القربة لا تختص فقط بصاحبها، بل تشمل غيره وتتسع.

---

(١) الآية رقم (٢١) من سورة الحديد، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (٢٩).

(٢) الآية رقم (١٤٨) من سورة البقرة، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (٢٨٦).

(٣) الروح لابن القيم ٢/ ٣٨٦ وهو: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية- الناشر: دار عطاءات العلم الرياض - دار ابن حزم بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م - الأولى لدار ابن حزم- حققه: محمد أجمل أيوب الإصلاحي- خرج أحاديثه: كمال بن محمد قالمي.

أما النوع الثاني من الإيثار: وهو الإيثار في الدنيا ومتاعها وما كان داخلا في حظوظ النفس فهو مندوب محمود ومرغب فيه، بل إن التنافس عليه قد يورث البغضاء، ويزيد من الشحناء، ويدفع للهلاك.

ويدل عليه حديث عَمْرو بن عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ إلى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وكان رسول اللَّهِ - ﷺ- هو صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عليهم الْعَلَاءَ بن الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أبو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ من الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أبي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مع النبي - ﷺ- فلما صلى بِهِمْ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا له فَتَبَسَّمَ رسول اللَّهِ - ﷺ- حين رآهم وقال أَظُنُّكُمْ قد سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قد جاء بِشَيْءٍ، قالوا: أَجَلْ يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ.(١)

قال ابن حجر: فتهلككم أي لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك، قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها، وشر فتنتها فلا يطمئن إلى زخرفها، ولا ينافس غيره فيها، ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبا والفقير آمن من ذلك.(٢)

والخلاصة: أن طلبه – ﷺ– للوسيلة لا يتعارض مع الإيثار، فالسعي إلى القرب من الله – تعالى- والحصول على مرضاته، ونيل ما عنده لا يشرع فيه الإيثار ، فالأمر من الله – تعالى- واضح صريح بالتنافس في الطاعات، والتسابق إلى الخيرات، والحرص على القرب من الله – تعالى- فهو يحبُّ المبادرة والمسارعة إلى خدمته، والتنافس فيها، وذلك أبلغ في

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب- أبواب الجزية والموادعة- باب- الْجِزْيَةِ وَالْمُوَادَعَةِ مع أَهْلِ الذمة والحرب- ١١٥٢/٣ رقم (٢٩٨٨) من طريق الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ عن عوف بن عمرو به.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٢٤٥/١١.

العبودية، فإنَّ الملوك تحبُّ المسارعة والمنافسة في طاعتها وخدمتها؛ فالإيثار بذلك مُنافٍ لمقصود العبودية ؛ فكيف بالرسول - ﷺ - أتقى الناس لله – تعالى- وأخشاهم له.

أما الجواب عن السؤال الثاني: هل كان النبي – ﷺ – يعلم أن هذه المنزلة له أم كان لا يعلم؟ فأقول: الأمر يحتمل القولين، فلم يَرِد ما يدل عليهما، وقد تعددت أقوال العلم في المسألة على قولين: **القول الأول:** أنه - ﷺ - لم يكن يعلم عن صاحب المنزلة ولهذا طلب من أمته أن يسألوا الله – تعالى- أن تكون له - ﷺ -.

قال القرطبي: وقوله (وأرجو أن أكون أنا هو) قال هذا - ﷺ- قبل أن يُبان له أنه صاحبها، إذ قد أخبر أنه يقوم مقامًا لا يقومه أحد غيره، ويحمد الله بمحامد لم يُلهمها أحد غيره، ولكن مع ذلك فلا بد من الدعاء فيها؛ فإن الله – تعالى- يزيده بكثرة دعاء أمته رفعة كما زاده بصلاتهم، ثم إنه يرجع ذلك عليهم بنيل الأجور ووجوب شفاعته - ﷺ-.(١)

والقول الثاني: أنه - ﷺ- كان يعلم أنه صاحب المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، ولكنه كان يخبر بذلك تواضعا منه كما هو خلقه وشأنه - ﷺ-، فهو خير البشر، وأكرم من خلقه الله – تعالى-، ويظهر ذلك في أقواله في مواقف متعددة حين بيَّن فضيلة يوسف – عليه السلام- ومقام الخليل إبراهيم – عليه السلام- وغيرها.

قال صاحب مرقاة المفاتيح: قوله: وَأَرْجُو أن أكون أنا هو: قَالَهُ تَوَاضُعًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ أَفْضَلَ الْأَنَامِ، فَلِمَنْ يَكُونُ ذَلِكَ الْمَقَامُ غَيْرَ ذَلِكَ الْهُمَامِ - عليه السلام- قَالَهُ ابْنُ الْمَلَكِ.(٢)

---

(١) المفهم للقرطبي ١٣/٢ وهو: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي- الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت- الأولى، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م- حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال.

(٢) مرقاة المفاتيح للملا علي القاري ٥٥٩/٢ وهو: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري- الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، **وابن الملك** هو: محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بن فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك صاحب كتاب: شرح مصابيح السنة للبغوي.

طلب الوسيلة وحصول الشفاعة:

قوله - ﷺ- : فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة، على قولين: أولهما: وجبت له شفاعتي واستحقها يوم القيامة، والقول الثاني: حلت له بعد أن كانت حراما عليه، فدل هذا القول على حصول الشفاعة وهي بشرى بحسن الختام ودخول جنة الرحمن –ﷺ- ، وشفاعته - ﷺ- ثابتة بالكتاب والسنة لمن أذن الله – تعالى- له، وقد أشار ابن كثير إلى هذا المعنى بقوله: وَهَذَا مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ -ﷻ- أَنَّهُ لَا يَتَجَاسَرُ أحد على أن يشفع لأحد عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ.(١)

شفاعات النبي - ﷺ-:

وللنبي - ﷺ- شفاعات متعددة بين عامة وخاصة: **منها: الشفاعة العظمى**: وهي التي تكون بعد أن يخر ساجدا عند العرش فيحمد الله – تعالى- بمحامد لم يحمده أحد بها، وهي المقام المحمود الذي ليس لأحد من الأولين والآخرين إلا هو - ﷺ- ، وهي مذكورة في الحديث الطويل والذي فيه .... فيأتونني فَأَقُولُ أنا لها فَأَسْتَأْذِنُ على رَبِّي فَيُؤْذَنُ لي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بها لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ له سَاجِدًا فيقال يا محمد ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لك وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.(٢)

ومنها: شفاعته في دخول قوم الجنة بغير حساب، وفيها حديث ابن عَبَّاسٍ قال: قال النبي - ﷺ- عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فأجد النبي يَمُرُّ معه الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ معه النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ معه الْعَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ معه الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فإذا سَوَادٌ كَثِيرٌ قلت يا جِبْرِيلُ هَؤُلَاءِ أُمَّتِي قال: لَا، وَلَكِنْ انْظُرْ إلى الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فإذا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قال: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عليهم ولا عَذَابَ، قلت: وَلِمَ؟ قال: كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ ولا يَسْتَرْقُونَ ولا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ إليه عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥١٩/١ وهو: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الأولى - ١٤١٩ هـ- المحقق: محمد حسين شمس الدين.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب- التوحيد- باب- كَلَامِ الرَّبِّ عز وجل يوم الْقِيَامَةِ مع الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ- ٢٧٢٧/٦ رقم (٧٠٧١) من طريق حُمَيْدٍ عن أَنَس به.

فقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهم قال: اللهم اجْعَلْهُ منهم، ثُمَّ قام إليه رَجُلٌ آخَرُ، قال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهم قال سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ.(١)

ومنها: شفاعته - ﷺ- في قوم قد عدلت حسناتهم مع سيئاتهم فيشفع لهم ليدخلوا الجنة، قال ابن حجر: وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال: السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يرحمه الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي - ﷺ-(٢) وقد تقدم قريبا أن أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.(٣)

ومنها: شفاعته - ﷺ- في رفعة درجات أقوام في الجنة، وفيه حديث أبي مُوسَى- رضي الله عنه - قال: دَعَا النبي - ﷺ- بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ بِهِ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فقال: اللهم اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أبي عَامِرٍ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، فقال: اللهم اجْعَلْهُ يوم الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ من خَلْقِكَ من الناس.(٤) وغيرها من أنواع الشفاعات.

قال القاضي عياض: شفاعات نبينا - ﷺ- يوم القيامة خمس شفاعات: الأولى: العامة: وهي التي تكون لفصل القضاء وإراحة الناس من المحشر، الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، الثالثة: في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع فيهم نبينا - ﷺ- وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة، الرابعة: فيمن دخل النار من

(١) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- الرقاق- باب- يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ- ٢٣٩٦/٥ رقم (٦١٧٥) من طريق سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ عن ابن عباس به.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨٩/١١ رقم (١١٤٥٤) موقوفا.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٤٢٨/١١.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح-كتاب- الدعوات- باب- الدعاء عند الوضوء- ٢٣٤٥/٥) ومسلم في الصحيح -كتاب- فضائل الصحابة- باب- من فَضَائِلِ أبي مُوسَى وَأَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّيْنِ رضي الله عنهما- ١٩٤٣/٤ رقم (٢٤٩٧) من طريق أبي بردة عن أبي موسى به.

المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، وهذه الشفاعة أنكرتها المعتزلة أيضا، الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.[١] والله أعلم.

الحديث الثاني: سَلُوا اللَّهَ العافية

عن عبد اللَّهِ بن أَبِي أَوْفَى - رضي الله عنهما- قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- في بَعْضِ أَيَّامِهِ التي لَقِيَ فيها انْتَظَرَ حتى مَالَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ قام في الناس خَطِيبًا قال: أَيُّهَا الناس لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فإذا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، ثُمَّ قال: اللهم مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عليهم.[٢]

في هذا الهدي النبوي الكريم يخبر سالم مولى عمر بن عبيد الله، وكان كاتبا له كما في روايات الحديث أنه قرأ كتابا كتبه عبد الله بن أبي أوفى إلى عمر بن عبيد، وكان علي بن أبي طالب قد جعله أميرا في الحرب على الفرق الضالة التي ظهرت في عصره وخرجت عليه وهم الخوارج والحرورية[٣]، وكان من بين ما جاء في الكتاب: أن النبي - ﷺ-

---

(١) التذكرة للقرطبي ٦٠٧/١ وهو: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي - الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض- الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ- تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد ، ولم أقف على هذه الأقسام في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، وقد أفرد فيه فصلا بعنوان: تفضيله - صلى الله عليه وسلم- بالشفاعة والمقام المحمود ص ٢٦٩.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- الجهاد والسير- باب- النبي ﷺ إذا لم يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ الْقِتَالَ حتى تَزُولَ الشَّمْسُ- ١٠٨٢/٣ رقم (٢٨٠٤) و- كتاب- التمني- باب- كَرَاهِيَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ- ٢٦٤٤/٦ رقم (٦٨١٠) ومسلم في الصحيح- كتاب- الجهاد والسير- باب- كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء- ١٣٦٢/٣ رقم (١٧٤٢) من طريق عُمَرَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ عن عبد الله بن أبي أوفى به.

(٣) الخوارج والحرورية: الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان، والحرورية: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، ورأسهم عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعروة بن جرير، ويزيد بن أبي عاصم المحاربي، وحرقوص ابن زهير البجلي المعروف بذي الثدية، الملل والنحل للشهرستاني ١١٤/١، ١١٥ بتصرف يسير.

في بعض أيامه وغزواته والتي لقي فيها العدو انتظر حتى زالت الشمس، وانكسر الحر فقام خطيبا في أصحابه ممن كانوا معه، فكان من بين ما أوصاهم به النهي عن تمني لقاء العدو؛ فإن المرء لا يدري ما تكون النتيجة، وما يصير إليه الحال، وفيه النهي عن العجب بالنفس والاغترار بالكثرة والقوة، ثم أوصاهم بسؤال العافية وطلبها، وهي وإن كانت مطلوبة في كل وقت وحين وحال في الدنيا والآخرة فهي آكد في وقت الحرب فهو وقت محن وابتلاء.

والذي طلب النبي - ﷺ- من أمته أن يسألوه من الله – تعالى- العافية، وهي في حقيقتها ترجع إلى:

العافية لغة: تعود في أصلها إلى الفعل عفو، ويقال أعطاه عفو ماله يعني: أعطاه بغير مسألة، ويقال أعفني من الخروج معك أي: دعني منه.(١)، وقال في العين: العفو: تركُكَ إنساناً استوجَبَ عُقوبةً فعفوتَ عنه، والعَفْوُ: أحَلُّ المالِ وأطيبُه، والعَفْوُ: المعروف.(٢)

العافية اصطلاحا: قال صاحب المرقاة: العافية هي دفاع الله عن العبد الأسقام والبلايا.(٣)

فضل طلب العافية:

من يتأمل في السنة النبوية المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الثابتة، والتي يعلم فيها النبي - ﷺ- أمته سؤال العافية وطلبها، في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فهي العافية من جميع البلايا والأسقام، وأما في الآخرة فمن أهوالها وعذابها، وكان - ﷺ- يكثر من التعوذ من تحول العافية.

(١) مختار الصحاح للرازي ١٨٦/١وهو: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.

(٢) العين للخليل بن أحمد ٢٥٨/٢ بتصرف يسير، وهو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري- الناشر: دار ومكتبة الهلال- المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.

(٣) مرقاة المفاتيح للملا علي القاري ١٨٨١/٦.

ومن فضل طلب العافية: أن نعمة العافية والصحة قد غبن فيها الكثير من الناس، ومن خلصت له صحته، وقوي بدنه وسلم من الأسقام ثم لم يقم بحق ذلك من فعل الواجب، وترك المحرم فهو المقصر.

ويدل عليه حديث ابن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما- قال: قال النبي - ﷺ- : نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ من الناس الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ.(١)

قال ابن بطال: معنى الحديث تنبيه أمته على مقدار عظيم نعمة الله على عباده فى الصحة والكفاية؛ لأن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكيفًا مؤنة العيش فى الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يغبنهما.(٢)

وقد أشار ابن الجوزي إلى ذلك مفرقا بين المغبوط الذي اجتمعت له الصحة ومعها الفراغ فاغتنمهما، والمغبون الذي اجتمع له الأمرين فاستعملهما على غير ما يحبه الله ويرضاه.

قال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون.(٣)

ومن ذلك: أن من تحصلت له نعمة العافية في جسده فكأنما ملك الدنيا.

وفي الهدي النبوي الكريم علَّم النبي - ﷺ- أمته أن من اجتمع له من نعم الله – تعالى- الأمان على نفسه وأهله وماله، والصحة والفية والخلو من الأمراض والأسقام في بدنه فكأنما حيزت له الدنيا، فأي شيء يحتاجه بعد ذلك؛ لذا وجب شكر نعم المنعم- ﷻ-.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- الرقاق- باب- ما جاء في الصحة والفراغ وأن لَا عَيْشَ إلا عَيْشُ الْآخِرَةِ- ٢٣٥٧/٥ رقم (٦٠٤٩) من طريق سَعِيدِ بن أبي هِنْدٍ عن أبيه عن ابن عَبَّاسٍ به.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٤٦/١٠.

(٣) كشف المشكل لابن الجوزي ٤٣٧/٢ وهو: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- الناشر: دار الوطن – الرياض- المحقق: علي حسين البواب.

ويدل عليه حديث عُبَيْدِ اللَّهِ بن مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيّ – رضي الله عنه- قال: قال رسول اللَّهِ - ﷺ- من أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيَا.(١)

قال المُناوي: من جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها فينبغي ألا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها بأن يعرفها في طاعة المنعم لا في معصية ولا يفتر عن ذكره.(٢)

ومن ذلك: أن سؤال العافية وطلبها سبب في رفع كل بلية، وذهاب كل رزية.

فمن سأل الله أعطاه، ومن دعاه أجابه، وعده لا يتخلف أبدا، فقد علمنا النبي - ﷺ- كيف ندفع المحن، وكيف نرد البلاء، وذلك عن طريق الدعاء بالعافية، فهو حل حاسم، ودواء نافع.

ويدل عليه حديث أَنَس بن مالك- رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيّ - ﷺ- مَرَّ بِقَوْمٍ مُبْتَلِينَ فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَؤُلاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.(٣)

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن- كتاب- الزهد- باب- التوكل على الله- ٥٧٤/٤ رقم (٢٣٤٦) وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث مَرْوَانَ بن مُعَاوِيَةَ، وابن ماجه في السنن- كتاب- الزهد- باب- القناعة- ١٣٨٧/٢ رقم (٤١٤١) من طريق سَلَمَةَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن محصن الْخَطْمِيّ عن أبيه به.

(٢) فيض القدير للمناوي ٦٨/٦.

(٣) أخرجه البزار في المسند ١٩٠/١٣ رقم (٦٦٤٣) وأبو يعلى في المسند ٢٨١/٥ ، والدعاء للطبراني ٣٨٧/١ رقم (١٢٩٩) والخطيب في تاريخ بغداد ١٩٦/١٩ رقم (١٠٤٢) من طريق حميد عن أنس به، وقال البزار: لا نعلمُ رَوَاهُ عن حُميدٍ إلا ابنُ عيَّاشٍ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٧/١٠: رواه البزار ورجاله ثقات، وأبو بكر بن عياش: ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح من السابعة مات سنة أربع وتسعين وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين وقد قارب المائة وروايته في مقدمة مسلم، تقريب التهذيب لابن حجر ٦٢٤/١ رقم (٧٩٨٥).

ومن ذلك: أن طلب العافية سبب من أسباب جمع خيري الدنيا والآخرة.

ويدل عليه حديث طارق الأشجعي أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ- وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ، وَآخِرَتَكَ.(١)

قال القرطبي: هذه الدعوات تجمع لك خيرات الدارين، وتكفيك شرورهما.(٢)، **وقال النجدي:** بدأ بالمغفرة لكونها كالتخلية، لما فيها من التنزيه من أقذار المعاصي، وعقبها بالرحمة لكونها كالتحلية، وعطف عليها الهداية، عطف خاص على عام، وبعد تمام المطالب سأل الله العافية ليقدر على الشكر، وطلب الرزق لتستريح نفسه عن الهم بتحصيله.(٣)

ومن ذلك: كثرة دعاء النبي - ﷺ- بطلبها، والتعوذ من تحولها عنه.

ويدل عليه حديث عبد اللَّهِ بن عُمَرَ قال كان من دُعَاءِ رسول اللَّهِ - ﷺ- اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ.(٤) فهنا نجد أن النبي - ﷺ- استعاذ بالله – تعالى- من زوال النعمة، فالنعم لا تدوم إلا بالشكر، ولا تزول إلا بالجحود والنكران واستعاذ من تحول العافية وتبدلها وهو دليل على دوام سؤاله - ﷺ- للعافية؛ فبزوالها لا يقدر الإنسان على القيام بمصالحه الدينية والدنيوية، ويترتب على تحولها سوء العيش وما يلحقه من اعتراض وسخط. والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح- كتاب- العلم – باب- فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ- ٢٠٧٣/٤ رقم (٢٦٩٧) من طريق أبي مالك عن أبيه به.

(٢) المفهم للقرطبي ٢٤/٧.

(٣) تطريز رياض الصالحين للنجدي ٨٠٨/١ وهو: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي- الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض- الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م- المحقق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح- كتاب- الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب- أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ – ٢٠٩٧/٤ رقم (٢٧٣٩) من طريق عبد اللَّهِ بن دِينَارٍ عن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ به.

العلاقة بين النهي عن تمني لقاء العدو وطلب العافية:

في صدر الحديث نهى النبي - ﷺ- المحاربين عن تمني لقاء العدو، وطلب منهم سؤال العافية من الله – تعالى- ويمكن بيان ذلك بأن النهي المقصود هو النهي عن التمني الذي فيه كبر واختيال، وإعجاب بالنفس، واغترار بالعدد والقوة، لا تمني اللقاء طلبا للشهادة، والرغبة في الحصول على أجرها وثوابها، **فإن كان** التمني على الوجه المذموم ترتب عليه عدم العافية وحصول القتل، ووقوع المحن والابتلاءات، وكله ناتج عن عدم تقدير الأمور كما كان يجب أن تقدر، وعدم الاحتياط في تقدير حجم العدو، وقد وقع ذلك في بعض الوقائع التاريخية على رأسها غزوة حنين والتي وقع فيها تمني لقاء العدو وقد أُعجب المسلمون بكثرتهم لدرجة أنهم شعروا أنهم لن يغلبوا اليوم من قلة، وكان عدد الجيش في هذه الغزوة قد بلغ اثنا عشر ألفا أكثرهم حديثو عهد بالإسلام، فكان التحذير من النبي - ﷺ- لهم كما في حديث صهيب قال: كان رسول اللَّهِ - ﷺ- يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ أَيَّامَ حُنَيْنٍ بشيء لم يَكُنْ يَفْعَلُهُ قبل ذلك، قال: فقال النبي - ﷺ- : إن نَبِيًّا كان فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ أَعْجَبَتْهُ أُمَّتُهُ فقال: لَنْ يَرُومَ هَؤُلاَءِ شيء، فَأَوْحَى الله إليه أن خَيِّرْهُمْ بين إِحْدَى ثَلاَثٍ: أما أن أسلط عليهم عَدُوًّا من غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ، أَوِ الْجُوعَ أَوِ الْمَوْتَ، قال: فَقَالُوا : أَمَّا الْقَتْلُ أَوِ الْجُوعُ فَلاَ طَاقَةَ لنا بِهِ، وَلَكِنِ الْمَوْتُ قال: قال رسول اللَّهِ - ﷺ- : فَمَاتَ في ثَلاَثٍ سَبْعُونَ أَلْفاً، قال: فقال: فأنا أَقُولُ الآنَ: اللهم بِكَ أُحَاوِلُ وَبِكَ أُصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ.(١)، **ومع ذلك** حصلت الهزيمة في أول المعركة، حتى مكَّن الله لنبيه - ﷺ- ونصره على عدوه، كما في حديث البراء بن عازب – رضي الله عنه- قال له رجل: يا أَبَا عُمَارَةَ أَفَرَرْتُمْ يوم حُنَيْنٍ قال: لَا والله ما وَلَّى رسول اللَّهِ - ﷺ- ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ وإخفاؤهم حُسَّرًا ليس عليهم سِلَاحٌ أو كَثِيرُ سِلَاحٍ، فَلَقُوا قَوْمًا رُمَاةً لَا يَكَادُ يَسْقُطُ لهم سَهْمٌ جَمْعَ هَوَازِنَ وَبَنِي نَصْرٍ فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا ما يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ فَأَقْبَلُوا هُنَاكَ إلى رسول اللَّهِ - ﷺ- وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٣٢/٤ رقم (١٨٩٥٣) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب به، وإسناده صحيح.

على بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وأبو سُفْيَانَ بن الْحَارِثِ بن عبد الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ فَنَزَلَ فَاسْتَنْصَرَ وقال: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثُمَّ صَفَّهُمْ.[1] والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- الجهاد والسير- باب- من صَفَّ أَصْحَابَهُ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ وَنَزَلَ عن دَابَّتِهِ وَاسْتَنْصَرَ ١٠٧١/٣ رقم (٢٧٧٢) ومسلم في الصحيح- كتاب- الجهاد والسير- باب- في غزوة حنين- ١٤٠٠/٣ رقم (١٧٧٦) من طريق أبي إسحاق عن البراء به.

المبحث الثاني
الحديث الأول: سلوا الله اليقين والمعافاة

عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه- أن النبي - ﷺ- **قال:** عليكم بالصِّدْق؛ فإنَّهُ مع البِرِّ وهُما في الجنةِ، وإيَّاكمْ والكذِبَ، فإنَّهُ مع الفُجورِ، وهُما في النارِ، وسَلُوا اللهَ اليقينَ والمُعافاةَ فإنَّهُ لمْ يُؤْتَ أحدٌ بعدَ اليقينِ خيْرًا من المُعافاةِ، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَقاطَعُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا، كَمَا أمرَكُمُ اللهُ.(١)

في هذا الهدي النبوي الكريم يظهر حرص النبي - ﷺ- على أمته، وبيان ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فأمرهم بالصدق وملازمته، فهو من البِر الجامع لأنواع الخير، وهما من أسباب دخول العبد الجنة، وحذرهم من الكذب الذي هو سبيل إلى الفجور، وهما من أسباب دخول العبد النار، ثم أمرهم - ﷺ- بسؤال وطلب اليقين والمعافاة من الله – تعالى- طلب اليقين والبصيرة في الدين، والمعافاة التي هي من أعظم النعم التي ينعم الله – تعالى- بها على العباد سواء في الدين أو في البدن، ثم أمر النبي - ﷺ- بما من شأنه حصول الألفة والتآلف والتآخي بين المسلمين وبما يؤدي إلى حصول السلم والأمن المجتمعي كالنهي عن التحاسد والتباغض والقطيعة والتدابر.

والذي طلب النبي - ﷺ- من أمته أن يسألوه من الله – تعالى- اليقين ويرجع في حقيقته إلى:

اليقين لغة: تعود الكلمة في أصلها إلى الفعل يقن، وهو" العلم وزوال الشك، يقال: منه يقنت الأمر، وأيقنت، واستيقنت، وتيقنت، كله بمعنى وأنا على يقين منه، وربما عبروا عن الظن باليقين وعن اليقين بالظن".(٢)

(١) أخرجه الطيالسي في المسند ٣/١ رقم (٥) والبيهقي في الدعوات الكبير ١٨١/١ رقم (٢٥٣) والبيهقي في شعب الإيمان ١٩٩/٤ رقم (٤٧٨٣) من طريق أَوْسَطَ الْبَجَلِيِّ عن أبي بكر به، والحديث بإسناد صحيح عند الطيالسي في المسند.
(٢) مختار الصحاح للرازي ٣١٠/١.

اليقين اصطلاحا: تعددت أقوال أهل العلم في بيان حقيقة اليقين، وكلها تدور حول حصول ما يطمئن إليه القلب، ويرسخ ويستقر في النفس بإيمان صادق، وعلم جازم لا شك فيه، مع انقياد وتذلل، وإشفاق ووجل، ثم سكون وانشراح وطمأنينة.

ومن هذه الأقوال: قول الحارث المحاسبي: وَصِحَّة الْيَقِين فِي ثَلَاثَة أَشْيَاء سُكُون الْقلب إِلَى الثِّقَة بِاللَّه، والانقياد لأمر الله، والإشفاق والوجل من سَابق الْعلم، ولليقين أول وَآخر فأوله الطُّمَأْنِينَة، وَآخره إِفْرَاد الله بالكفاية.(١)

ومنها: ما قاله البيهقي: هُوَ سُكُونُ الْقَلْبِ عِنْدَ الْعَمَلِ بِمَا صَدَّقَ بِهِ الْقَلْبُ، فَالْقَلْبُ مُطْمَئِنٌّ لَيْسَ فِيهِ تَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ تَخَوُّفٌ، فَالْقَلْبُ سَاكِنٌ آمِنٌ لَيْسَ يَخَافُ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا.(٢)

ومنها: ما قاله ابن تيمية أنه: طمأنينة القلب، واستقرار العلم فيه، ثم اليقين ينتظم منه أمران: علم القلب، وعمل القلب.(٣)

ومنها: قول ابن القيم في تعريف اليقين وقد جعله في أعلى درجات الإيمان، بل قد يصل إلى مقام الإحسان: اليقين هو المكاشفة، وهي على ثلاثة أوجه: مكاشفةٌ في الأخبار ومكاشفةٌ بإظهار القدرة، ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان، ومراد القوم بالمكاشفة: ظهور الشّيء للقلب بحيث تصير نسبتُه إليه كنسبة المرئيّ إلى العين، فلا يبقى معك شكٌّ ولا ريبٌ أصلًا، وهذا نهاية الإيمان، وهو مقام الإحسان.(٤)

---

(١) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي ١٧٥/١ وهو: أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي- الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب – سوريا- الطبعة: الثانية، ١٣٩١ – ١٩٧١- المحقق: عبد الفتاح أبو غدة.

(٢) الزهد الكبير للبيهقي ٣٥٢/١ وهو: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي- الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٩٩٦- المحقق: عامر أحمد حيدر.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢٩/٣ وهو: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية- ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م- جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ١٧٤/٣ وهو: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية- الناشر: دار عطاءات العلم -الرياض - دار ابن حزم بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م -الأولى لدار ابن حزم.

ومنها: ما قاله الجُرجاني: وعند أهل الحقيقة: رؤية العيان بقوة الإيمان، لا بالحجة والبرهان. **وقيل:** بمشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار، **وقيل:** تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب.(١)

منزلة اليقين ومقاماته:

لليقين منزلة عالية، ومكانة عظيمة لا تحصل لكل أحد؛ فهو عمل من أعمال القلوب التي لا يطلع عليها إلا الله – تعالى-، وقد أثنى الله – تعالى- على من اتصف به، وامتدح النبي - ﷺ- أهله في كثير من الأحاديث الصحيحة؛ إذ هو سبب من أسباب الفلاح، وطريق موصل للظفر والنجاح.

ومن هذه الآيات: قوله – تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾(٢) وقوله – تعالى- ﴿۝١٦ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝٢١﴾﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ۝٢٢﴾ □ (٣) **قال ابن كثير:** أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب، دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة إنه يزيد وينقص.(٤)

---

(١) التعريفات للجرجاني ٢٥٩/١ بتصرف يسير.

(٢) الآيات ٢-٥ من سورة البقرة، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (٢٨٦) آية.

(٣) الآية رقم (٢٢) من سورة الأحزاب، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (٧٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٦/٣ بتصرف يسير.

وقوله – تعالى- :﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[١]

قال ابن كثير: أي الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما اكترثوا لذلك، بل توكلوا على الله واستعانوا به.[٢]

ومن الأحاديث: ما جاء في السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب " هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون؛ وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منه، ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة.[٣]

ومنها: حديث أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه- عن النبي - ﷺ- قال: يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ.[٤]

قال النووي: قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف فى شدة خوفهم وقيل المراد متوكلون.[٥]

فاليقين سبب لطمأنينة القلب، واستقرار النفس، وانشراح الصدر، وزوال الريب والشك، ما يدفع العبد إلى الإخلاص، وحسن الاتباع، وكل ذلك يعين على القيام بالواجبات، وترك المحرمات، ورد شبهات القلوب، وشهوات النفوس، ودفع الخوف والقلق، والإقدام على الأعمال مع الصبر والاحتساب.

---

(١) الآية رقم (١٧٣) من سورة آل عمران، وهي سورة مدنية وعدد آياتها (٢٠٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣١/١.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- الطب- باب- من اكْتَوَى أو كَوَى غَيْرَهُ وَفَضْلِ من لم يَكْتَوِ- ٢١٥٧/٥ رقم (٥٣٧٨) من طريق عامر عن عمران بن حصين به، ومسلم في الصحيح – كتاب- الإيمان- باب- الدَّلِيلِ على دُخُولِ طَوَائِفَ من الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولاعذاب- ١٩٨/١ رقم (٢١٨) من طريق محمد بن سيرين عن عمران به.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح- كتاب- الجنة وصفة أهلها ونعيمها- باب- يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ- ٢١٨٣/٤ رقم (٢٨٤٠) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة به.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٧٧/١٧.

وقد تعددت أقوال أهل العلم في بيان منزلة اليقين، ومن ذلك:

قول الحسن البصري: ما طلبت الجنة إلا باليقين ولا هرب من النار إلا باليقين، ولا أديت الفرائض إلا باليقين، ولا صبر على الحق إلا باليقين.(١)

ومنها: قول سفيان الثوري: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقا إلى الجنة وخوفا من النار.(٢)

ومنها: قول ابن القيم: وهو من الإيمان بمنزلة الرُّوح من الجسد، وفيه تفاضل العارفون، وفيه تنافسَ المتنافسون، وإليه شَمَّر العاملون، وعملُ القوم إنّما كان عليه، وإشارتهم كلُّها إليه. وإذا تزوّج الصّبرُ باليقين وُلِد بينهما حصولُ الإمامة في الدِّين.(٣) **وقال أيضا:** وَالْيَقِين والمحبة هما ركنا الايمان، وَعَلَيْهِمَا يَنْبَنِي وَبِهِمَا قوامه، وهما يمدان سَائِر الأعمال القلبية والبدنية وعنهما تصدر، وبضعفهما يكون ضعف الأعمال، وبقوتهما قوتها وَجَمِيع منَازِل السائرين ومقامات العارفين إِنَّمَا تفتح بهما، وهما يثمران كل عمل صَالح وَعلم نَافِع وَهدى مُسْتَقِيم.(٤) وغيرها من الأقوال.

مقامات اليقين ودرجاته:

يظهر بمراجعة أقوال أهل العلم والنظر فيها أن اليقين له مقامات وأوجه تدور حول يقين الخبر، ويقين الدلالة، ويقين المشاهدة، أما يقين الخبر فمعناه الثقة والطمأنينة في خبر الله وخبر رسوله - ﷺ-، ويقين الدلالة فمعناه أنه فضلا على الوثوق في الخبر قامت الأدلة عليه فصار أعلى من المقام الخبر، وأما يقين المشاهدة فهو المكاشفة بأن يصير ظهور الشّيء للقلب ونسبتُه إليه كنسبة المرئيّ إلى العين كما قال أهل العلم.

---

(١) فتح الباري لابن رجب ١٥/١ وهو: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي- الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م- تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق الشافعي وغيرهم.

(٢) المصدر السابق نفسه١٥/١.

(٣) مدارج الساكين لابن القيم ١٧٠/٣.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١٥٤/١ وهو : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لمحمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

قال ابن القيم: قال أبو بكرٍ الورّاق: اليقين على ثلاثة أوجهٍ: يقين خبرٍ، ويقين دلالةٍ، ويقين مشاهدةٍ، **يريد بيقين الخبر**: سكونَ القلب إلى خبر المخبر ووثوقَه به، **وبيقين الدّلالة**: ما هو فوقه، وهو أن يُقِيم له مع وثوقه بصدقه الأدلّة الدّالّة على ما أخبر به، وهذا كعامّة أخبار الإيمان والتّوحيد في القرآن، فإنّه – سبحانه- مع كونه أصدق الصّادقين يقيم لعباده الأدلّة والأمثال والبراهين على صدق أخباره، فيحصل لهم اليقين من الوجهين: من جهة الخبر، ومن جهة الدّليل. فيرتفعون من ذلك إلى الدّرجة الثّالثة، وهي **يقين المكاشفة**، بحيث يصير المُخبَر به لقلوبهم كالمرئيّ لعيونهم، فنسبة الإيمان بالغيب حينئذٍ إلى القلب كنسبة المرئيّ إلى العين. وهذا أعلى أنواع المكاشفة.(١)

أما عن درجات اليقين: " فاليقين عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ. وهو على ثلاث درجات، الدرجة الأولى: علم اليقين. وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق، الدرجة الثانية: عين اليقين. وهو المغني بالاستدراك عن الاستدلال، وعن الخبر بالعيان، وخرق الشهود حجاب العلم، والفرق بين علم اليقين وعين اليقين: كالفرق بين الخبر الصادق والعيان، وحق اليقين فوق هذا، الدرجة الثالثة: حق اليقين. وهو إسفار صبح الكشف، ثم الخلاص من كلفة اليقين، ثم الفناء في حق اليقين، والحق أن هذه الدرجة لا تنال في هذا العالم إلا للرسل صلوات الله وسلامه عليهم. فإن نبينا - ﷺ- رأى بعينيه الجنة والنار، وموسى سمع كلام الله منه إليه بلا واسطة فكلمه تكليما، وتجلى للجبل وموسى ينظر، فجعله دكا هشيما".(٢)

صور ومواقف لليقين:

موقف الخليل إبراهيم – عليه السلام-:

سأل الخليل إبراهيم- عليه السلام- ربه – تعالى- أن يريه كيف يحي الموتى ليس شاكا في قدرته، وإنما أراد أن ينتقل من مقام إلى مقام، ومن منزلة إلى أخرى من مقامات اليقين، من العلم إلى المعاينة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١٧٤/٣.

(٢) المصدر السابق نفسه ٣٧٩/٢ وما بعدها.

ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾(١)

قال ابن كثير: أَحَبَّ أَنْ يَتَرَقَّى مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ فِي ذَلِكَ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ، وَأَنْ يَرَى ذَلِكَ مُشَاهِدَةً.(٢)

مو اقف رسول الله محمد - ﷺ - :

منها: يشهد لليقين في نفسه وقلبه - ﷺ - مواقف كثيرة منها موقفه مع الرجل الذي تهدده وهو نائم مستظلا بشجرة، وقد علق سيفه عليها، فاخترطه رجل وأخذه وقال: تخافني؟ من يمنعك مني الآن؟ فأجابه بيقين لا يتزعزع، وثبات لا يتأثر: الله يمنعني منك، ويدل عليه حديث جَابِرَ بن عبد اللَّهِ - رضي الله عنهما - أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مع رسول اللَّهِ - ﷺ - قِبَلَ نَجْدٍ، فلما قَفَلَ رسول اللَّهِ - ﷺ - قَفَلَ معه فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ في وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رسول اللَّهِ - ﷺ - وَتَفَرَّقَ الناس يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رسول اللَّهِ - ﷺ - تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بها سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فإذا رسول اللَّهِ - ﷺ - يَدْعُونَا، وإذا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فقال: إِنَّ هذا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وأنا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وهو في يَدِهِ صَلْتًا فقال: من يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فقلت: الله ثَلَاثًا، ولم يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ.(٣)

قال ابن حجر: وكأن الأعرابي لما شاهد ذلك الثبات العظيم، وعرف أنه حيل بينه وبينه تحقق صدقه، وعلم أنه لا يصل إليه فألقى السلاح وأمكن من نفسه.(٤)

---

(١) الآية رقم (٢٦٠) من سورة البقرة، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (٢٨٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٨٩/١.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- الجهاد والسير- باب- من عَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرِ في السَّفَرِ عِنْدَ الْقَائِلَةِ- ١٠٦٥/٣ رقم (٢٧٥٣) و- كتاب- المغازي- باب- غزوة ذات الرقاع- ١٥١٥/٤ رقم (٣٩٠٥) ومسلم في الصحيح -كتاب- الفضائل – باب- تَوَكُّلِهِ على اللَّهِ تَعَالَى وَعِصْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى له من الناس- ١٧٨٦/٤ رقم (٨٤٣) من طريق سِنَان بن أبي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر به.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٤٢٧/٧.

قال العيني: وهذا من أعظم الخوارق للعادة؛ فإنه عدو متمكن، بيده سيف مشهور، وموت حاضر، ولا تغير له - ﷺ- بحال، ولا حصل له روع ولا جزع، وهذا من أعظم الكرامات ومع اقتران التحدي يكون من أوضح المعجزات.(١)

ومنها: ما كان من ابتلاءات ابتلي بها النبي - ﷺ- فلقد أوذي في الله وما يؤذى أحد، وأخيف في الله وما يخاف أحد، ولكنه رضي واحتسب، وفوض الأمر لربه – تعالى- واستقر اليقين في قلبه بأن الله – تعالى- ناصر نبيه، وممكن لدينه ولو كره الكافرون، ابتلي بالجوع والأذى، والحصار واستضعاف أصحابه - ﷺ- وتعذيبهم بشتى ألوان العذاب، ومع ذلك لم يتزعزع إيمانهم، ولم يتأثر يقينهم في تمكين الله ونصره لهم.

ومن هذه المواقف ما جاء في حديث خَبَّابِ بن الْأَرَتِّ قال: شَكَوْنَا إلى رسول اللَّهِ - ﷺ- وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا له: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا ألا تَدْعُو اللَّهَ لنا، قال: كان الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرض فَيُجْعَلُ فيه فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ على رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ من عَظْمٍ أو عَصَبٍ وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، والله لَيُتِمَّنَّ هذا الْأَمْرَ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا اللَّهَ أو الذِّئْبَ على غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ.(٢)

أقسم النبي- ﷺ- أن الله – تعالى- سيتم هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون، فلا بد من الصبر والاحتساب وانتظار الفرج ، وتم الأمر كما أقسم - ﷺ- ثقة ويقينا في الله – تعالى-.

ومنها: ما جاء في حديث عَدِيِّ بن حَاتِمٍ قال: بَيْنَا أنا عِنْدَ النبي - ﷺ- إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إليه الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ فقال يا عَدِيُّ: هل رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟ قلت: لم أَرَهَا

(١) عمدة القاري للعيني ٦٣/٦ وهو: عمدة القاري شرح صحيح البخاري- لبدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني- دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر – بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- المناقب- باب- علامات النبوة في الإسلام- ١٣٢٢/٣ رقم (٣٤٦١) و-كتاب- استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم- باب- من اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالْقَتْلَ وَالْهَوَانَ على الْكُفْرِ- ٢٥٤٦/٢ رقم (٦٥٤٤) من طريق قيس عن خباب بن الأرت به.

وقد أُنْبِئْتُ عنها، قال: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ من الْحِيرَةِ حتى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إلا اللَّهَ، قلت فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قد سَعَّرُوا الْبِلَادَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، قلت: كِسْرَى بن هُرْمُزَ؟ قال: كِسْرَى بن هُرْمُزَ.(١) والله أعلم.

العافية والمعافاة:

قوله - ﷺ- : سلوا الله اليقين والمعافاة، فإنَّهُ لمْ يُؤْتَ أحدٌ بعدَ اليقينِ خيْرًا من المُعافاةِ.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الفرق بين العافية والمعافاة؟

قال ابن الأثير: العَافِيَة: أَنْ تَسْلَم مِنَ الأسْقَام والبَلَايا، وَهِيَ الصحةُ وضِدُّ المرَض، والمُعَافَاة: هِيَ أَنْ يُعَافِيَك اللهُ مِنَ النَّاسِ ويُعَافِيَهُم مِنْكَ: أَيْ يُغْنِيك عَنْهُمْ ويُغْنيهم عَنْكَ، ويَصْرف أذاهُم عَنْكَ وأذَاكَ عَنْهُمْ. وَقِيلَ: هِيَ مُفاعَلة مِنَ العَفْو، وَهُوَ أَنْ يَعْفُوَ عَنِ النَّاسِ ويَعْفُوَ هُم عَنْهُ.(٢)

وقد ورد في طلبها، والمداومة على سؤالها، وأنها من أفضل الدعاء أحاديث منها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(٣)

ومنها: حديث أبي بكر - رضي الله عنه- أنه خطب الناس على منبر رسول الله - ﷺ- فقال: قام رسول الله - ﷺ- في مقامي هذا عام الأوَّل، ثم بكى أبو بكر - رضي الله عنه- ثم سُرِّي عنه فقال: سمعت

(١) أخرجه البخاري في الصحيح-كتاب- المناقب- باب- علامات النبوة في الإسلام- ١٣١٦/٣ رقم (٣٤٠٠) من طريق مُجِلُّ بن خَلِيفَةَ عن عدي به.

(٢) النهاية لابن الأثير ٢٦٥/٣ بتصرف يسير.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن- كتاب- الدعاء- باب- الدعاء بالعفو والعافية- ١٢٦٦/٢ رقم (٣٨٥١) من طريق زِيَادٍ الْعَدَوِيِّ عن أبي هريرة به، والحديث إسناده صحيح.

رسول اللَّه - ﷺ- يقول: إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا فِي الدُّنْيَا خَيْرًا مِنَ الْيَقِينِ وَالْمُعَافَاةِ فَسَلُوهُمَا اللَّهَ - ﷻ-.[١] والله أعلم.

الحديث الثاني: سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا

عن جَابِرٍ بن عبد الله – رضي الله عنهما- قال: قال رسول اللَّهِ – ﷺ– : سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ من عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ.[٢]

في هذا الهدي النبوي الكريم يأمر النبي - ﷺ- أمته أن يسألوا الله – تعالى- علما نافعا، والعلم النافع هو الذي يفيد وينفع صاحبه وغيره في الدنيا والآخرة، ويأتي على رأس هذه العلومِ العلومُ الشرعية لما فيها من العلم بأمور الدين وما فيها من عبادات ومعاملات وأخلاق وسلوك، وفيها العلم بالله وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، ثم يأتي بعد ذلك ما ينفع من العلوم الدنيوية، ثم حذر النبي - ﷺ- من العلم الذي لا ينفع، وأمر بالتعوذ منه، فالعلم الذي لا ينتفع به صاحبه ابتداء يصير نقمة ووبالا عليه وعلى غيره.

سمات العلم النافع:

قال ابن رجب: فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٨/١ رقم (٣٨) من طريق الحسن عن أبي بكر به، وإسناده ضعيف فرواية الحسن البصري عن أبي بكر مرسلة، جامع التحصيل للعلائي ١٦٢/١ رقم (١٣٥)، وتابعه أوسط بن إسماعيل البجلي عن أبي بكر وهو: ثقة مخضرم من الثانية مات سنة تسع وسبعين، تقريب التهذيب لابن حجر ١١٦/١ رقم (٥٧٨) فيرتقي إلى الحسن لغيره.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن- كتاب- الدعاء- باب- ما تَعَوَّذَ منه رسول اللَّهِ ﷺ ١٢٦٢/٢ رقم (٣٨٤٣) وابن أبي شيبة في المصنف ٣٤٢/٥ رقم (٢٦٧١٢) وعبد بن حميد في المسند ٣٣٠/١ رقم (١٠٩٣) وأبو يعلى في المسند ٤٣٧/٣ رقم (١٩٢٧) و٤٦٩/٣ رقم (١٩٨٠)، ١٣٩/٤ رقم (٢١٩٦) وأبو يعلى في المعجم ١٩٣/١ رقم (٢٢٦) والدعوات الكبير للبيهقي ٢٨٦/١ رقم (٢٠٠) والبيهقي في شعب الإيمان ٢٨٥/٢ رقم (١٧٨١) والديلمي في مسند الفردوس ٣٠٥/٢ رقم (٣٣٧٧) كلهم من طريق مُحَمَّدِ بن الْمُنْكَدِرِ عن جَابِرٍ به، والحديث إسناده صحيح عند ابن ماجه.

وغير ذلك والاجتهاد عَلَى تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد عَلَى الوقوف عَلَى معانيه وتفهمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل.[١]

وقسَّم الشاطبي العلم إلى ثلاثة أقسام، قسم هو صلب العلم، وقسم يستفاد منه، ولكنه ليس من صلب العلم، والعلم لا يتوقف عليه، وقسم ثالث ما ليس من صلب العلم ولا يستفاد منه ولا يتوقف عليه، وأنقل كلامه لتعم الفائدة.

يقول الشاطبي: من العلم ما هو من صُلْب، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُلَح الْعِلْمِ لَا مِنْ صُلْبِهِ، وَمِنْهُ مَا لَيْسَ مِنْ صُلْبه وَلَا مُلَحه؛ فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: **الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: هو الأصل والمعتمد، والذي عليه مدار الطلب**، وإليه تنتهي مقاصد الراسخين، وذلك ما كان قطعيا، أو راجعا إلى أصل قطعي، والشريعة المباركة المحمدية منزلة على هذا الوجه، ولذلك كانت محفوظة في أصولها وفروعها.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: وهو المعدود في ملح العلم لا في صلبه: ما لم يكن قطعيا ولا راجعا إلى أصل قطعي، بل إلى ظني، أو كان راجعا إلى قطعي إلا أنه تخلف عنه خاصة من تلك الخواص، أو أكثر من خاصة واحدة؛ فهو مخيل، ومما يستفز العقل بمبادئ الرأي والنظر الأول، من غير أن يكون فيه إخلال بأصله، ولا بمعنى غيره.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: وهو ما ليس من الصلب، ولا من الملح: ما لم يرجع إلى أصل قطعي ولا ظني[٢] وإنما شأنه أن يكر على أصله أو على غيره بالإبطال مما صح كونه من العلوم المعتبرة، والقواعد المرجوع إليها في الأعمال والاعتقادات، أو كان مُنهضا إلى إبطال الحق وإحقاق الباطل على الجملة؛ فهذا ليس بعلم لأنه يرجع على أصله بالإبطال، فهو غير ثابت، ولا حاكم، ولا مطرد أيضا، ولا هو من ملحه؛ لأن الملح هي التي تستحسنها العقول

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٤/١، وهو: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب- الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: السابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م- المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس.

(٢) النصوص قطعية الدلالة: هي ما دلَّ على معنى متعيَّن فهمه منه ولا يحتمل تأويلاً ولا مجال لفهم معنى غيره منه والنصوص ظنية الدلالة: فهو ما دل على معنى، ولكن يحتمل أن يؤول ويُصرف عن هذا المعنى ويراد منه معنى غيره. علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٣٥.

وتستملحها النفوس؛ إذ ليس يصحبها منفر، ولا هي مما تعادي العلوم؛ لأنها ذات أصل مبني عليه في الجملة، بخلاف هذا القسم؛ فإنه ليس فيه شيء من ذلك.(١)

قلت: ومتى كان للعلم أثر على صاحبه من معرفة الله – تعالى- وما يتعلق بذلك من أسماء وصفات، وما يستتبعه من إجلال، وتعظيم، وخشية، وتوكل، وتفويض، وإنابة، ورجاء وصبر، وتذلل، وانقياد، وتسليم كان ذلك علما نافعا.

ومتى كان للعلم أثر في معرفة ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة والتخلق بالأخلاق الحسنة من تواضع، وترك للفخر والكبرياء، والجدال بغير حق، وترك طلب مباهاة العلماء، ومماراة السفهاء، وترك الشهرة، وطلب الرئاسة، والاغترار بالمدح والثناء كان ذلك من علامات العلم النافع.

قال ابن رجب: فأصل العِلْم: العِلْم بالله الَّذِي يوجب خشيته، ومحبته والقرب منه والأُنس به والشوق إليه، ثم يتلوه العِلْم بأحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد، فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علماً نافعًا، وحصل له العِلْم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعاء المسموع، ومن فاته هذا العِلْم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي - ﷺ- وصار علمه وبالا وحجة عليه، فلم ينتفع به؛ لأنّه لم يخشع قلبه لربه ولم تشبع نفسه من الدُّنْيَا، بل ازداد عليها حرصًا ولها طلبًا، ولم يسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه، هذا إن كان علمه علما يمكن الانتفاع به، وهو المُتلَقى عن الكتاب والسنة؛ فإن كان متلقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه، ولا يمكن الانتفاع به، بل ضوء أكثر من نفعه.(٢)

---

(١) الموافقات للشاطبي ١٠٧/١ وهو: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي- الناشر: دار ابن عفان- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م- المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

(٢) فضل علم السلف لابن رجب ٢٩/٣ وهو: فضل علم السلف على علم الخلف لزين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي-الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م- دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني.

وقال أيضا: فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب فقد خشع القلب للَّه وانكسر له، وذل هيبة وإجلالا وخشية ومحبة وتعظيما، ومتى خشع القبل للَّه وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا.(١)

قوله - ﷺ- : وتعوذوا بالله من علم لا ينفع.

فإن لم يحصل ما فات من سمات العلم النافع، ولم يقع أثره قولا وفعلا واعتقادا كان نقمة ووبالا على صاحبه، والأصل في ذلك حديث أبي هُرَيْرَةَ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يقول: إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.(٢) والله أعلم.

فالحديث قد اشتمل على أعمال ثلاثة عظيمة القدر، رفيعة المنزلة عند الله – تعالى- وهي الجهاد في سبيل الله، وتعلم العلم وتعليمه، والإنفاق في سبيل الله – تعالى-، والشاهد حين صار العلم نقمة ووبالا على صاحبه مع كونه في الأصل من أسباب الفوز والنجاة، فها هو يقرأ القرآن ليقال له قارئ، وها هو يتعلم العلم ويعلمه ليقال له عالم،

(١) فضل علم السلف لابن رجب ٧/١.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح- كتاب- الإمارة – باب- من قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ- ١٥١٣/٣ رقم (١٩٠٥) من طريق سُلَيْمَان بن يَسَارٍ عن أبي هريرة به.

فلما كان مراده الرياء والشهرة، وحب الظهور والسمعة سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة، وجازاه نقيض عمله بأن تسعر به النار يوم القيامة.

قال السفاريني: وَأَمَّا التَّفْرِيطُ فِي الْعِلْمِ فَيَشْمَلُ الْكَذِبَ فِيهِ، وَعَدَمَ الْعَمَلِ بِهِ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ لَهُ، وَعَدَمَ صِيَانَةِ نَامُوسِهِ فِيهِ.(١)

فضل العلم النافع:

دلت الأحاديث الثابتة على فضل العلم، ومكانة أهله، وأثبتت لهم المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، ولا أدل على ذلك من نظمهم مع الملائكة وشهادتهم لله – تعالى- بالوحدانية، وهو شرف لا يعدله شرف، ومكانة تسمو على غيرها، **ومن هذه الأحاديث: ما يدل على بقاء العلم وأثره، وعدم انقطاع أجر صاحبه بعد موته:** وفيه حديث أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قال: إذا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له.(٢)

قال النووي: قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح وفيه بيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع.(٣)

---

(١) غذاء الألباب للسفاريني ٥٤/١، وهو: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب لشمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي- الناشر : مؤسسة قرطبة – مصر- الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح -كتاب- الوصية- باب- ما يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ من الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ- ١٢٥٥/٣ رقم (١٦٣١) من طريق الْعَلَاءِ عن أبيه عن أبي هُرَيْرَةَ به.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٨٥/١١ بتصرف يسير.

ومنها: ما يدل على أن صاحب العلم العامل به مغبوط على النعمة التي أنعم الله بها عليه وفيه حديث ابن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما- قال: قال النبي - ﷺ-: نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ من الناس الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ.(١)

وحديث عَبْد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ – رضي الله عنه- قال: قال النبي - ﷺ- :لَا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَسُلِّطَ على هَلَكَتِهِ في الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بها وَيُعَلِّمُهَا.(٢)

قال ابن بطال: هذا الحسد الذى أباحه - ﷺ- ليس من جنس الحسد المذموم، فلم يتمنَّ أن يسلب صاحب المال ماله، أو صاحب الحكمة حكمته، وإنما تمنى أن يصير فى مثل حاله، من تفعّل الخير، وتمنى الخير والصلاح جائز وقد تمنى ذلك الصالحون والأخيار، ولهذا المعنى ترجم البخاري لهذا الباب باب الاغتباط فى العلم والحكمة، لأن من أوتى مثل هذه الحال فينبغي أن يغتبط بها وينافس فيها.(٣)

ومنها: ما يدل على أن العلماء هم الفرقة الناجية، والطائفة القائمة على أمر الله حتى تقوم الساعة، وفيه حديث مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يقول سمعت النبي - ﷺ- يقول: من يُرِدْ الله

(١) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- الرقاق- باب- ما جاء في الصحة والفراغ وأن لَا عَيْشَ إلا عَيْشُ الْآخِرَةِ- ٥/٢٣٥٧ رقم (٦٠٤٩) من طريق سَعِيدِ بن أبي هِنْدٍ عن أبيه عن ابن عَبَّاسٍ به.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح-كتاب- العلم- باب- الِاغْتِبَاطِ في الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وقال عُمَرُ تَفَقَّهُوا قبل أَنْ تُسَوَّدُوا- ١/٣٩ رقم (٧٣) ، و-كتاب- الأحكام- باب- أَجْرِ من قَضَى بِالْحِكْمَةِ- ٦/٢٦١٢ رقم (٦٧٢٢) ، -كتاب- الاعتصام بالكتاب والسنة- باب- ما جاء في اجْتِهَادِ القضاء بِمَا أَنْزَلَ الله تَعَالَى- ٦/٢٦٦٨ رقم (٦٨٨٦) ومسلم في الصحيح- كتاب- المساجد- باب- فَضْلِ من يَقُومُ بِالْقُرْآنِ وَيُعَلِّمُهُ وَفَضْلِ من تَعَلَّمَ حِكْمَةً من فِقْهٍ أو غَيْرِهِ فَعَمِلَ بها وَعَلَّمَهَا- ١/٥٥٩ رقم (٨١٦) من طريق قَيْسَ بن أبي حَازِمٍ عن عبد الله بن مسعود به، و- كتاب- الزكاة- باب- إِنْفَاقِ الْمَالِ في حَقِّهِ- ٢/٥١٠ رقم (١٣٤٣)، -كتاب- فضائل القرآن- باب- اغْتِبَاطِ صَاحِبِ الْقُرْآنِ – ٤/١٩١٩ رقم (٤٧٣٧) من طريق سالم عن أبيه به، ورقم (٤٧٣٨) من طريق ذكوان عن أبي هريرة به.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/١٥٨ بتصرف يسير، وهو: شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك- مكتبة الرشد - السعودية، الرياض- الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م- تحقيق: ياسر بن إبراهيم.

بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، وَإِنَّمَا أنا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هذه الْأُمَّةُ قَائِمَةً على أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ من خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ.(١)

قال ابن حجر: فيه إثبات الخير لمن تفقه في دين الله، وأن ذلك لا يكون بالاكتساب فقط، بل لمن يفتح الله عليه به، وأن من يفتح الله عليه بذلك لا يزال جنسه موجودا حتى يأتي أمر الله وقد جزم البخاري بأن المراد بهم أهل العلم بالآثار، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، وقال القاضي عياض: أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.(٢)

وقال النووي: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين فى أقطار الأرض، وفى هذا الحديث معجزة ظاهرة فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله – تعالى- من زمن النبي - ﷺ- إلى الآن ولا يزال حتى يأتى أمر الله المذكور.(٣) **وقال أيضا:** فيه فضيلة العلم، والتفقه في الدين والحث عليه، وسببه: أنه قائد إلى تقوى الله تعالى.(٤)

ومنها: ما يدل على أن العلم النافع سبب موصل، وطريق ميسر لدخول الجنة، وفيه حديث أبي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قال: قال رسول اللَّهِ - ﷺ-: وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ الله له بِهِ طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ.(٥)

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح- كتاب- العلم- باب- من يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ- ٣٩/١ رقم (٧١) من طريق حُمَيْدُ بن عبد الرحمن عن معاوية به، ومسلم في الصحيح -كتاب- الإمارة- باب- قَوْلِهِ ﷺ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ من خَالَفَهُمْ- ١٥٢٤/٣ رقم (١٠٣٧) بلفظ مختلف من طريقيَزِيدُ بن الْأَصَمِّ عن معاوية به.

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٦٤/١.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٦٧/١٣.

(٤) المصدر السابق ١٢٨/٧.

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح- كتاب- الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب- فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ على تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ- ٢٠٧٤/٤ رقم (٢٦٩٩) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة به.

قال ابن دقيق العيد: هذا الحديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر من علم، أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك ، ثم قال: وفي الحديث: فضل السعي في طلب العلم ويلزم من ذلك فضل الاشتغال بالعلم، والمراد العلم الشرعي، ويشترط أن يقصد به وجه الله – تعالى- وإن كان شرطاً في كل عبادة.(١)

وأختم بكلام قيم لابن القيم في الموازنة بين العلم والمال فذكر ما يزيد على خمسة وثلاثين وجها، أذكر بعضا منها: **قال: وَفضل الْعلم على المَال يعلم من وُجُوه: أحدها**: أن الْعلم مِيرَاث الأنبياء، وَالْمَال مِيرَاث الْمُلُوك والاغنياء. **وَالثَّانِي**: أن الْعلم يحرس صَاحبه وَصَاحب المَال يحرس مَاله. **وَالثَّالِث**: أن المَال تذهبه النَّفَقَات، وَالْعلم يزكوا على النَّفَقَة **الرَّابِع**: أن صَاحب المَال إِذا مَاتَ فَارقه مَاله، وَالْعلم يدْخل مَعَه قَبره **الْخَامِس**: أن الْعلم حَاكم على المَال، وَالْمَال لَا يحكم على الْعلم. **السَّادِس**: أن المَال يحصل لِلْمُؤمنِ وَالْكَافِر وَالْبر والفاجر وَالْعلم النافع لَا يحصل إلا لِلْمُؤمن. **السَّابِع**: أن الْعَالم يحْتَاج إليه الْمُلُوك فَمن دونهم وَصَاحب المَال إِنَّمَا يحْتَاج إليه أهل الْعَدَم والفاقة. **الثَّامِن**: أن النَّفس تشرف وتزكو بِجمع الْعلم وتحصيله وَذَلِكَ من كمالها وشرفها، وَالْمَال يزكيها وَلَا يكمله وَلَا يزيدها صفة كَمَال، بل النَّفس تنقص وتشح وتبخل بجمعه والحرص عَلَيْهِ فحرصها على الْعلم عين كمالها وحرصها على المَال عين نَقصهَا. **التَّاسِع**: أن المَال يدعوها إلى الطغيان وَالْفَخْر وَالْخُيَلَاء وَالْعلم يدعوها إِلَى التوضع وَالْقِيَام بالعبودية فَالْمَال يدعوها الى صِفَات الْمُلُوك، وَالْعلم يدعوها إلى صِفَات العبيد. **الْعَاشِر**: أن الْعلم جاذب موصل لَهَا إلى سعادتها الَّتِي خلقت لَهَا، وَالْمَال حجاب بَينهَا وَبَينهَا. **الْحَادِي عشر**: أن غَنِي الْعلم أجل من غَنِي المَال فَإِن غَنِي المَال غنى بأمر خارجي عَن حَقِيقَة الإنسان لَو ذهب فِي لَيْلَة أصبح فَقِيرا معدما وغني الْعلم لَا يخْشَى عَلَيْهِ الْفقر، بل هُوَ فِي زيادة أبدا فَهُوَ الْغَنِيّ العالي حَقِيقَة. **الثَّانِي عشر**: أن المَال

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ١١٩ بتصرف يسير، وهو: شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد- الناشر: مؤسسة الريان-الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م.

يستعبد محبه وَصَاحبه فَيَجْعَلهُ عبدا لَهُ كَمَا قَالَ النَّبِي - ﷺ- تعس عبد الدِّينَار وَالدِّرْهَم الحَدِيث، وَالْعلم يستعبده لرَبه وخالقه فَهُوَ لَا يَدعُوهُ إِلَّا إلى عبودية الله وَحده. **الثَّالِث عشر** : أن حب الْعلم وَطَلَبه أصل كل طَاعَة وَحب الدُّنْيَا، وَالْمَال وَطَلَبه أصل كل سَيِّئَة. **الرَّابِع عشر** أن قيمَة الْغَنِيّ مَاله، وَقِيمَة الْعَالم علمه فَهَذَا مُتَقَوّم بِمَالِه فَإِذا عدم مَاله عدمت قِيمَته وَبَقِي بِلَا قيمَة والعالم لا تزول قِيمَته، بل هِيَ فيضاعف وَزِيَادَة دَائِما. **الْخَامِس عشر:** أن جَوْهَر المَال من جنس جَوْهَر الْبدن وجوهر الْعلم من جنس جَوْهَر الرّوح كَمَا قَالَ يُونُس بن حبيب علمك من روحك، وَمَالك من بدنك وَالْفرق بَين الامرين كالفرق بَين الرّوح وَالْبدن. **السَّادِس عشر**: أن الْعَالم لَو عرض عَلَيْهِ بحظه من الْعلم الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لم يرضها عوضا من علمه والغني الْعَاقِل إِذا رأى شرف الْعلم وفضله وابتهاجه بِالْعلمِ وكماله بِهِ يود لَو ان لَهُ علمه بغناه أجْمَعْ. **السَّابِع عشر:** أنه مَا أطاع الله أُحْدُ قطّ إلا بِالْعلمِ وَعَامة من يعصيه إِنَّمَا يعصيه بِالْمَالِ. **الثَّامِن عشر**: أن الْعَالم يَدْعُو النَّاس إلى الله بِعِلْمِهِ وحاله، وجامع المَال يَدعُوهُم الى الدُّنْيَا بِحَالهِ وَمَاله. **التَّاسِع عشر:** أن غنى المَال قد يكون سَبَب هَلَاك صَاحبه كثيرا فَإِنَّهُ معشوق النُّفُوس فَإِذا رَأَتْ من يستأثر بمعشوقها عَلَيْهَا سعت فِي هَلَاكه كَمَا هُوَ الْوَاقِع، وَأما غنى الْعلم فسبب حَيَاة الرجل وحياة غَيره بِهِ، وَالنَّاس إِذا رأوا من يستأثر عَلَيْهِم بِهِ ويطلبه أحبوه وخدموه وأكرموه. **الْعشْرُونَ**: إن اللَّذَّة الْحَاصِلَة من غنى إِمَّا لَذَّة وهمية وَإِمَّا لَذَّة بهيمية فَإِن صَاحبه التذ بِنَفس جمعه وتحصيله فَتلك لَذَّة وهمية خيالية، وإن التلذذ بإنفاقه فِي شهواته فَهِيَ لَذَّة بهيمية واما لَذَّة الْعلم فلذة عقلية روحانية وَهِي تشبه لَذَّة الْمَلَائِكَة وبهجتها وَفرق مَا بَين اللذتين. والله أعلم.[1]

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١٢٩/١ بتصرف يسير.

الخاتمة

وكان من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- إن الأعمال التي طلب النبي - ﷺ- من أمته سؤالها قد وردت في كثير من الأحاديث، وقد وقفت على جملة من الأحاديث ذات الصلة، منها ما يتعلق بسؤال العافية، والعفو والمعافاة، والوسيلة، واليقين، والفردوس، وسؤال خير الريح عند هبوبها، وسؤال الله ببطون الأكف، والعلم النافع، وسؤال فضل الله- تعالى- منها الصحيح، والحسن، والضعيف الذي يشهد له ما يقويه، وتركت الأحاديث الضعيفة، وشديدة الضعف، واكتفيت بالصحيح والحسن منها، ففيما ذكرته غناء عنها.
- اخترت في هذا البحث أربعة أحاديث كنماذج مختارة محتج بها ذكر فيها لفظ " سلوا الله " وهي المقصودة لذاتها في البحث، وهذه الأربعة ذات موضوعات متنوعة مثل : سؤال الوسيلة، وسؤال العافية، وكذلك سؤال اليقين، والمعافاة، وسؤال العلم النافع.
- تنوع الموضوعات ترتب عليه الكشف عن كثير من الحقائق، وإزالة تعارضات وشبهات مثل الوقوف على حقيقة الوسيلة، وكشف اللثام عن العلاقة بين طلب الوسيلة والإيثار وكذا العلاقة بين سؤال العافية والاغترار بالعدد والكثرة، والفرق بين العافية والمعافاة والكشف عن سمات العلم النافع، وأشهر الفروق بينه وبين المال.

المصادر والمراجع

أولا: كتب اللغة:

- **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

- **التوقيف على مهمات التعاريف** لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: دار الفكر الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية.

- **العين** لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري- الناشر: دار ومكتبة الهلال- المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.

- **لسان العرب** لمحمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥ – ١٩٩٥ تحقيق: محمود خاطر.

- **مختار الصحاح** لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - **معجم مقاييس اللغة** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

- **المعجم الوسيط** تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

ثانيا: كتب الحديث والشروح:

- **الأحاديث المختارة** لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، دار النشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

- **البحر الزخار المعروف بمسند البزار** لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- السعودية-الأولى تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون.

- **تاريخ بغداد** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ- دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

- **تطريز رياض الصالحين** لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي- الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض- الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م- المحقق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد.

- **التقاسيم والأنواع المعروف بصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ – ١٩٩٣ الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

- **الجامع الصحيح** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ط دار ابن كثير واليمامة – بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

- **الجامع للترمذي** لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

- **الدعاء** لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ- المحقق: مصطفى عبد القادر عطا.

- **الدعوات الكبير** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، أبو بكر البيهقي- غراس للنشر والتوزيع – الكويت- ط: الأولى للنسخة الكاملة، ٢٠٠٩ م- المحقق: بدر بن عبد الله البدر.

- **الزهد الكبير** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي- الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٩٩٦- المحقق: عامر أحمد حيدر.

- **سنن أبي داود** لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، دار النشر: دار الفكر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

- **سنن البيهقي الكبرى** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- **شرح مشكاة المصابيح** وهو: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي - مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة – الرياض- ط: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م- المحقق: د. عبد الحميد هنداوي.
- **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية** لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد- الناشر: مؤسسة الريان- الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- **شرح صحيح البخاري** لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك- مكتبة الرشد - السعودية، الرياض- ط:الثانية، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م- تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.
- **شعب الإيمان** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي- دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان- ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م- المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.
- **صحيح مسلم بشرح النووي** لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب** لشمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي- مؤسسة قرطبة – مصر- الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- **فتح الباري** لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي- الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية- الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م- تحقيق: محمود بن شعبان، مجدي بن عبد الخالق وغيرهم.

- **فيض القدير شرح الجامع الصغير** لعبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى.
- **الفردوس بمأثور الخطاب** لأبي شجاع الديلميّ الهمذاني- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م- المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول.
- **كشف المشكل** لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- الناشر: دار الوطن – الرياض- المحقق: علي حسين البواب.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، ط: دار الكتب العلمية– لبنان-بيروت- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى تحقيق: جمال عيتاني.
- **مسند أبي يعلى** لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار النشر: دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم.
- **مسند أحمد بن حنبل** لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ط: مؤسسة قرطبة – مصر.
- **مسند الطيالسي** لسليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي.
- **المجتبى من السنن** لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦،الثانية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.
- **المستدرك على الصحيحين** لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- **المسند الصحيح** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج ط دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- **المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

- **المعجم الأوسط**، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

- **المعجم الكبير**، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد.

- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي- دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت- الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م- حققه: محيي الدين ديب- أحمد محمد السيد وغيرهم.

- **النهاية في غريب الحديث والأثر** لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ط: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد.

ثالثا: كتب أخرى:

- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق** لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري- ط: دار الكتاب الإسلامي- الثانية.

- **تفسير القرآن العظيم** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الأولى - ١٤١٩ هـ- المحقق: محمد حسين شمس الدين.

- **تهذيب الأخلاق** وهو: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق- لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه- الناشر: مكتبة الثقافة الدينية- الطبعة: الأولى- ١٩٨٧م.

- **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي - الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع الرياض- ط الأولى، ١٤٢٥ هـ- تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم.

- **جامع العلوم والحكم** لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس.

- **رسالة المسترشدين** لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي- الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب – سوريا- ط: الثانية، ١٣٩١ – ١٩٧١- المحقق: عبد الفتاح أبو غدة.
- **الروح** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية- الناشر: دار عطاءات العلم الرياض - دار ابن حزم بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م - الأولى لدار ابن حزم- حققه: محمد أجمل أيوب الإصلاحي- خرج أحاديثه: كمال بن محمد قالمي.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- دار عطاءات العلم الرياض - دار ابن حزم- بيروت- الثالثة ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م - الأولى لدار ابن حزم- تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج سراج منير محمد منير.
- **فضل علم السلف على علم الخلف** لزين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي-الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م- دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني.
- **القواعد الكبرى** وهو: قواعد الأحكام في مصالح الأنام لأبي محمد عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء- الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة- ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.
- **مجموع الفتاوى** لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية- الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية- ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م- جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
- **مدارج السالكين** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية- الناشر: دار عطاءات العلم -الرياض - دار ابن حزم بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م -الأولى لدار ابن حزم.
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الأولى ٢٠٠٥م.

- **المنثورفي القواعد الفقهية** لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي - الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية- الثانية، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م - حققه: د. تيسير فائق أحمد محمود- راجعه: د.عبد الستار أبو غدة.

- **المو افقات** لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي- الناشر: دار ابن عفان- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م- المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن.

الفهرس العام

م	الموضوع	الصفحة
١	ملخص البحث باللغة العربية	١٤٢
٢	ملخص البحث باللغة الإنجليزية	١٤٣
٣	المقدمة	١٤٤
٤	تمهيد	١٤٩
٥	المبحث الأول	١٥١
٦	المبحث الثاني	١٧٠
٧	الخاتمة	١٨٨
٨	المصادروالمراجع	١٨٩
٩	الفهرس العام	١٩٦

****